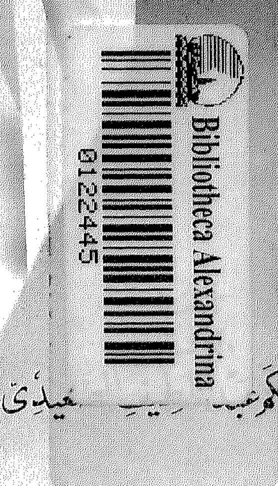
الأسرة المسلمة

أسس ومبادئ



عبدالحكم عبد ... عيدى



الدار المصرية اللبنانية



الأسرة المسلمة

أسس ومبادئ

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



الدار المصرية اللبنانية طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقياً: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO

الأسرة المسلمة

أسس ومبادئ

تأليف
الدكتور
عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الناشر
الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الذى أرسل الرسلَ مبشرينَ ومنذرين ، وجعلهم الأسوة الحسنة والقدوة الطيِّبة فى السلوك الفاضل والخلق النبيل ، وجعلَ لهم أزواجًا وذُرِّيَّةً ، قال عَزَّ من قائل : ﴿ ولقد أرسلنا رُسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريةً ﴾ (١) .

ثم الصلاة والسلام الأكملان الأتمَّان على سيدِ ولد آدم ، سيدنا محمد النبى الأمين ، الذى بيَّن للأمة قولًا وعملًا أن حياة الأسرة ركيزةٌ من ركائز استقرار المجتمع واستمراره ، حيث حرَّض على الزواج وحث عليه ، عن أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ -: « تَزَوَّجُوا الوَدُودَ فإنى مُكاثِرٌبكم الأنبياء يوم القيامة » (٢) . كما حذَّر من العُزُوبة ونفَّر منها ، حتى ولو كانت بدافع التبتل والانقطاع للعبادة ، فعن سعد بن أبى وقاص قال : قال رسول الله - ﷺ -: « إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة » .

وبعـد ...

فإن الأسرة نظام إنسانى أكَّدَ الإسلام ضرورته ، فهى اللبنة الأساسية فى بناء المجتمع ، وقد أوْلتها شريعة الإسلام السمحةُ من الرعاية والاهتمام ما يجعلها

---

(١) سورة الرعد : ٣٨ .

(٢) رواه الطبرانى وأحمد والبيهقى وابن حبان .

(٣) رواه البيهقى .

تبوأ المكانة اللائقة بها ؛ لتنطلقَ نحو آفاق أرْحب من العزة والكرامة والعمل الصالح المفيد ، فهى آية من آيات الله ، يقول الله – تعالى -: ﴿ ومن آياته أنْ خَلَق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مَوَدَّةً ورحمة إنَّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١) .

ففى ظل توجيهات الإسلام السامية ، ومبادئه الحانية ، تقوم الأسرة على أسس متينة ، قوامُها الاختيارُ السليمُ ، والنظرة الموضوعية الصادقة ، التى لا يجنح بها الخيالُ الحالم ، ولا تستبدُّ بها الطموحات غير المتناهية ، وإنما تعتمد على أرض الواقع الملموس ، حيث لا زيفَ ولا خداعَ ، وإنما صراحة وصدق واقتناع ، فالمنهج الرَّبانى لا يختلف مع الفطرة البشرية ، ولكنه يأتلف معها ويُسَاوِقُهَا ، ويتدرج بها فى مدارج السُّمو البشرى والكمال الإنسانى فى شتى مجالات الحياة وميادينها ، ومسالكها ودروبها ، وبقدر ما يتمسك الناس به من هذه القيم بقدر ما تكون سعادتهم فى الدنيا والآخرة .

ولقد سعدت الأُسرةُ المسلمةُ فى صدر الإسلام وفى عهد الخلافة الراشدة ؛ لأنها الْتزمت السَّيْرَ على هذا المنهج القويم ، فكان جهد كل من الأبوين منصبًّا على تربية الأبناء ، بتنشئتهم على الدين ، وترغيبهم فى حب الله وتقواه ، بغرس الفضائل فى نفوسهم ، كما كان اختيار كل من الزوجين لرفيق الدرب وشريك الحياة اختيارًا أساسه التدين الصحيح والقرب الصادق من الله ، عملًا بالتوجيه النبوى الكريم : « إذا أتاكم من تَرْضَوْنَ دينه وخُلُقَه فأَنكِحُوه (زوِّجوه) ، إلَّا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض » (٢) .

كما لم يكن أحد من أفراد تلك الأسرة يلوى على شىء سوى طاعة الله ، والأخذ بمنهجه الذى ارتضاه لعباده أسلوبًا للحياة ، قال الله – تعالى -:

---

(١) سورة الروم : ٢١ .

(٢) أخرجه أبو داود والترمذى ، وحسَّنه الترمذى .

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يَعْصِ الله ورسوله فقد ضَلَّ ضلالًا مُبِينًا ﴾ [(١)] . ومن هنا جاءتهم الدنيا راغمة ، ففى الحديث القدسى : « يادنيا من خدمَنِى فاخْدُمِيه ، ومن خدمك فاستخْدِميه » [(٢)] . وهكذا تعمقت هذه المفاهيم وتلك القيم فى نفوس الناس ، وتوارثها خَلَفُ الأمة عن سَلَفِها ، فعاشوا عيشة كريمة ، ونَبَغ منهم خلقٌ كثير ، كما أصبحوا للناس رَادَةً وَقَادَة ، بل وأصبحوا فى جبين الدهر شامة ، وأعز الله بهم دينه ، ومَكَّنَ لأُمة الإسلام على أيديهم ، فتركوا لنا معيناً لا ينضبُ من التراث الحضارى الأصيل .

وحينما ننظر إلى واقع الأسرة المسلمة الآن ، نجدها قد تعرضت لموجات من الفتن والمغْريات العصرية ، التى هبت على ديار المسلمين ، ووفدت إلى مجتمعاتهم باسم المدنية ، فى صورة ألوان من الخلاعة والابتذال والسُّفور ، وكلها عوامل تنذر بالانحلال والذَّوبان ، ولقد أثرت تلك الفتن فى تماسك الأسرة واستقرارها ، فخمدت جذوة الإيمان فى النفوس – إلَّا من رحم الله – وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ فخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غَيًّا ﴾ [(٣)] . ومما يزيد الأمر تعقيدًا ، أن رياح هذا التغيير لا تتوقف على فئة بعينها ، وإنما يمتد الزحف ليشمل مختلف الفئات ، فأهل الريف وأهل الحضر فى هذا الخطب سواء .

وعليه فقد اندفع الغيورون على دينهم وعلى أوطانهم إلى معالجة هذا القصور ، والتصدى لتيارات التغريب ، فشرعوا أسِنَّة أقلامهم بكتابات جيدة تضع الحق فى نصابه ، وتغمد سيف الباطل فى جِرابه ، وهذه الكتابات فى جملتها

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٦ .

(٢) الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسية .

(٣) سورة مريم : ٥٩ .

لا يستغنى بعضها عن بعض ، فما يوجز القول فيه كاتب يطنب فيه آخر ، هذا فضلًا عمَّا تصطبغ به تلك الكتابات من ألوان مردها مَشَارِبُ الكُتَّابِ وتخصصاتهم ، فمن كان متخصصًا فى الفقه ، فإنه يغلب عليه الإغراق فى إيراد الأحكام مقرونة بأدلتها واستنباطاتها ، وقد يجره ذلك إلى الزج بالقارئ - وقد يكون غير متخصص - فى خلافات الفقهاء وآرائهم ، ومن كان متخصصاً فى العلوم الاجتماعية والتربوية تجده يصب أفكاره فى قوالب لغوية واصطلاحات فنية تتمشى مع منهجه وخلفيته العلمية ، وكل ذلك يزيد القضية صعوبة ، فضلًا عمَّا يكتنف اقتناء ذلك كله من جهد ومشقة .

وقد استعنت بالله - تعالى - محاولا الإدلاء بدلوى فى الدِّلاء ، فطوفتُ فى رحاب الأسرة المسلمة ؛ لأرسم لها صورة مثالية من خلال الرؤية الموضوعية العصرية ، التى تستنير وتأتنس بتوجيهات الإسلام الحنيف ، من حيث تشخيص الداء ، ووصف تذكرة الدواء ، كى تستعيد الأسرة المسلمة فى الحاضر عزَّها الخالد ، ومجدها التالد ، ويتبوأ أفرادها مكانتهم المرموقة فى دنيا الناس ، وتلك محاولة صادقة لإعادة صياغة الإنسان المسلم على أساس من هَدْيِ السماء ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين * يهدى به الله مَنِ اتبع رضوانه سُبُلَ السلام ويُخرجهم من الظلمات إلى النور بإِذْنِهِ ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم ﴾ (١) . والاقتداء برسول الله - ﷺ - فهو الأُسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، والنموذج الإنسانى الرفيع لمكارم الأخلاق ، يقول الله - تعالى -: ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليومَ الآخِر وذَكَرَ الله كثيراً ﴾ (٢) .

---

(١) سورة المائدة : ١٥ و ١٦ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

والتأسى بالأفعال الكريمة ، والأخلاق الحميدة للصحابة الأجلاء ، والعلماء الفضلاء ، فهم النماذج التى صاغها الإسلام على حب الخير والعمل به ونشره وإذاعته ، وفيهم يقول أحدهم ، وهو الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود : « من كان متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب رسول الله – ﷺ – فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقَها علمًا ، وأقلَّها تكلفاً ، وأقومها هديًا ، وأحسنَها حالًا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفُوا لهم فضلهم ، واتبعوهم فى آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » .

ورتبت هذا الموضوع على مقدمة وخمسة فصول ، بيانها كالتالى : المقدمة : ويتضح من خلالها أهمية تناول هذا الموضوع .

الفصل الأول : ويشتمل على عرض دقيق لواقع النظام الأُسرى لدى المسلمين وغيرهم .

الفصل الثانى : ويعنى برسم ملامح المنهج الإسلامى فى بناء الأسرة .

الفصل الثالث : ويتعلق ببيان حقوق كل من الزوجين قِبَلَ الآخر .

الفصل الرابع : ويختص بوضع ملامح حقوق كل من الأبناء والآباء قِبَلَ بعضهم البعض .

الفصل الخامس : ويختص ببيان بعض جوانب المنهج الإسلامى فى تربية الشباب .

وقد توخيت فى عرض هذا الموضوع يُسْر العبارة ، ودقة التركيب ، مع البعد عن الإغراق فى المصطلحات الفنية ، فى إيجاز غير مخل ، تحاشيًا للإطناب المُمِلّ ، أمَلًا فى إخراج هذا الموضوع بحجم يناسب سهولة اقتنائه ، فضلًا عن اصطحابه فى الحِلّ والترحال ، فخير صديق فى الحياة كتاب ، كما حاولت قدر الطاقة ووسع الجهد الإلمامَ بجوانب هذا الموضوع تسهيلاً للمعرفة لدى طلابها .

فإن كنت قد وُفِّقت إلى ما تصْبو إليه النفس ، فذلك فضل الله يؤتيه مَنْ يشاء ، وإن كانت الأُخرى فحسبى أننى اجتهدت ...

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ، وأن يجعله فى ميزان الحسنات ، لى ، ولوالدىَّ ، ولأصحاب الحقوق علىَّ ، ولمن عمل على نشره وإذاعته وإبرازه إلى حَيِّزِ الوجود .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الدكتور عبد الحكم عبد اللطيف أحمد الصعيدى
الأستاذ بكلية الزراعة - جامعة الأزهر
القاهرة
ضاحية مدينة نصر فى رمضان ١٤١٢ هـ
مارس ١٩٩٢ م



الفصل الأول

واقع النظام الأسرى

أوّلاً : واقع النظام الأسرى لدى غير المسلمين :

لكى نستطيع الوقوف على جلية الأمر فى هذه القضية ، لا بد لنا من التعرف على عنصرين أساسيين : أحدهما : طبيعة نظرة المجتمعات (مسلمة وغير مسلمة) للمرأة كشريك فعّال فى تكوين الأسرة .

والثانى : فلسفة الأسرة كنظام اجتماعى لدى هذه المجتمعات أيضاً على مر العصور ، وهو ما نريد مناقشته على النحو التالى :

أولا : واقع النظام الأسرى لدى غير المسلمين :

(أ) المرأة :

لقد كانت نظرة تلك المجتمعات على اختلاف مِلَلِهَا ونِحَلِهَا – على مر العصور – نظرة تتسمُ بالعُنف والعَسْف والقسوة ، ومجانبة الصواب فى الغالب الأعم من الأحيان ، أما إذا حظيت المرأة بنظرة إنصاف ، وذلك بطبيعة الحال فى القليل النادر ، فإن ذلك لا يعدو أن يكون ضرباً من المبالغة والمغالاة ، وخير شاهد على ذلك ما فعله قدماء المصريين عندما بالغ بعضهم فى تكريم المرأة إلى حد أنهم ألّهُوا « إيزيس » ، ونصَّبوا « حتشبسوت » ملكة وحاكمة عليهم ، وحتى تكتمل الصورة أمام ناظرينا ، فإليك أخى القارئ مقتطفات من الجور النفسى والمادى الذى لاقته المرأة فى دنيا الرجال على مر التاريخ :

١ - نظرة الإغريق للمرأة :

لقد بات الإغريق ينظرون إلى المرأة على أنها مخلوق وضيع منحط ، لا تصلح إلا للنسل وتدبير المنزل ، لا على أنها سيدة ، ولكن على اعتبار أن وظيفتها لا تعدو وظيفة الجارية المملوكة .

٢ - المرأة فى نظر اليونان :

تنحصر نظرتهم إلى المرأة فى أنها مثار للشهوة فحسب ، ولا سلطان لها على أنوثتها .

٣ - المرأة عند بعض طوائف اليهود والنصارى :

كانوا ينظرون إليها على أساس أنها شرٌّ من الأفاعى والأوبئة وسائر الشرور ، ولا تعدو فى نظرهم مرتبة الخادم أو الجارية المملوكة ، حيث كانت تُباع وتُشترى ، وهى مع كل هذا شرٌّ لا بد منه .

٤ - المرأة فى جاهلية العرب :

ولقد بلغ هوان المرأة ذروته فى جاهلية العرب هذه ، فلقد كانت تُقْبَرُ على قيد الحياة ، بصورة لا تعدو أن تكون عدواناً على البشرية فى أضعف صورها ، عدوانًا يَسْتَثِيرُ الشفقة ، إلى الحد الذى رأينا فيه الألم يعتصر فؤاد رسول الله - ﷺ - عند سماعه لإحدى هذه الفظائع ، فضلًا عن مشاهدتها ، فقد رُوِىَ أَنَّ رجلًا من أصحاب النبى - ﷺ - كان لا يزال مغتمًّا بين يدى النبى ، فقال له الرسول : « مالك تكون محزونًا ؟ » فقال : يارسول الله إنى أذنبتُ ذنبًا فى الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله وإنْ أسلمت . فقال له : « أخبرنى عن ذلك » فقال : يارسول الله إنى كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فَوُلِدَتْ لى بنت فَتَشَفَّعَتْ إلَىَّ امرأتى أن أتركها ، فتركتها حتى كبرت وصارت من أجمل النساء فخطبوها ، فدخلتنى الحميَّة ، ولم يحتمل قلبى أن أزوِّجها أو أتْرُكَها فى البيت بغير زوج ،

فقلت للمرأة : أنى أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا فى زيارة أقربائى فابْعثيها معى ، فَسُرَّت بذلك ، وزَيَّنَتْهَا بالثياب والحلى ، وأخذَت علَىَّ المواثيق بألّا أخونَها ، فذهبتُ بها إلى رأس بئر ، فنظرتُ فى البئر ، فَفَطِنَتْ الجاريةُ أنى أريدُ أن ألقِيَها فى البئر ، فالْتَزَمَتْنى (أى ضَمَّت نفسَها إلَىّ) وجعلت تبكى وتقول : يا أبتِ ، أىَّ شيء تريد أن تفعل بي ؟ فَرَحِمْتُهَا ، ثم نظرتُ فى البئر فدخلت علَىَّ الحِميةُ ، ثم التزمتنى وجعلت تقول : يا أبت لا تضيع أمانة أمى ، فجعلتُ مرةً أنظر فى البئر ، ومرة أنظر إليها فأرْحمُها حتى غلَبَنى الشيطانُ ، فأخذتُها وألقيتها فى البئر منكوسةً ، وهى تنادى فى البئر : يا أبتِ قَتَلْتَنِى ، فَمَكَثْتُ هناك حتى انقطع صوتُها فرجعت ، فبكَى رسول الله – ﷺ – وأصحابُه وقال : « لو أُمِرْتُ أن أعاقبَ أحدًا بما فعل فى الجاهلية لعاقبتك » [١] .

كما سجَّل القرآن الكريم عليهم تلك البشاعة فى عدة مواضع :

قال الله – تعالى :

﴿ وكذلك زَيَّنَ لكثير من المشركين قَتْلَ أولادِهم شُركاؤُهم لِيُرْدُوهُم وليلبسوا عليهم دينهم ، ولو شاء الله ما فعلوه ، فذَرْهُم وما يفترون ﴾ [٢] .

وقال – جل ذكره –:

﴿ وإذا بُشِّرَ أحدُهم بالأُنثى ظل وجهه مُسْوَدًّا وهو كظيم * يتوارَى من القوم من سُوءِ ما بُشِّرَ به ، أيمسكه على هُونٍ أم يدسُّه فى التراب ، ألاساء ما يحكمون ﴾ [٣] .

---

(١) تفسير القرطبى : جـ ٧ ص ٩٦ وما بعدها .

(٢) سورة الأنعام : ١٣٧ .

(٣) سورة النحل : ٥٨ و ٥٩ .

وقال – تقدس اسمه –:

﴿ وإذا الموءودةُ سُئِلَتْ * بأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [(١)] .

وقال – عز من قائل –:

﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سَفَهاً بغير علم وحَرَّمُوا ما رزقهم اللهُ افتراءً على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ [(٢)] .

(ب) واقع الأسرة فى النظم القديمة :

لقد كانت العلاقة الأسرية فى النظم القديمة علاقة فردية ، فلم تكن العلاقات الزوجية بين الرجل والمرأة فى كثير من المجتمعات غيرَ قضاء للشهوة الحيوانية وإنجابٍ للبنين ، وذلك راجعٌ إلى نظرة تلك المجتمعات للمرأة أولا وقبلَ كل شىء ، وهو ما سبق أنْ ألمحْنا إليه ، وحتى تتضح لنا تلك العلاقة جليةً فَسَنُوردُ جانباً من النماذج التى توضحها فيما يلى :

١ – واقع النظام الأسْرى لدَى الإغريق :

كانت المرأة الوَلود تُؤْخَذُ من زوجها بطريق العارية (الهبة) لتنجبَ للوطن أولادًا من رجال آخرين غيرِ زوجها ، وكانت قِمَّة المهزلة فى ذلك الوضع الشائن المتردى تتمثل فى إعدام تلك المرأة إذا أنجبت طفلًا دميمًا ، وكأنها ليست مخلوقاً تجرى عليه تصاريف القَدَر ، وإنما هى التى تخلق الأبناء والبنين !!

٢ – واقع النظام الأسرى فى جاهلية العرب :

ونستطيعُ إدراكَ ذلك الواقع المهين بسهولةٍ إذا عِلمْنا قُبْحَ نظرتهم إلى النكاح ، وأنهم إنما يَصِمُونَ المرأة بالمهانة إذا أنجاها القَدَر من غائلة الوأد حال

---

(١) سورة التكوير : ٨ و ٩ .

(٢) سورة الأنعام : ١٤٠ .

الصغر ؛ ولهذا فقد تعدَّدَت صورُ نكاح المرأة الواحدة فيما يعرف بـ « أَنكِحَة الجاهلية » .

عن عروة بن الزبير أن عائشة - رضى الله عنها - أخبرته أَن النكاحَ فى الجاهلية كان على أربعة أَنواع :

الأول : يَخطب الرجلُ إلى الرجلِ مَوْلِيَّتَهُ أو ابنته فَيُصْدِقُهَا (أى يؤدى صداقها أو مهرها ، ثم يَنْكِحُها (يتزوجها) .

الثانى : كان الرجل يقول لامرأته إذا طَهُرَتْ من طَمْثِهَا (حيضها) أَرْسِلِى إلى فلان فاسْتَبْضِعِى منه (أى اطلبى منه الولد) ويعتزلها زوجُها حتى يتبيَّنَ حملُها ، فإذا تبيَّنَ أصابها زوجُها إذا أَحَبَّ ، وإنما يفعل ذلك رغبةً فى نَجَابَةِ الولد ، ويُسَمَّى هذا النوعُ من النكاح : « الاسْتِبْضَاعُ » .

الثالث : يجتمع الرَّهْطُ ما دُونَ العشرة ، فيَدخلونَ على المرأةِ ، كلُّهُم يُصيبُها ، فإذا حَمَلَتْ ووضعت ومَرَّ عليها ليالٍ أرسَلَتْ إليهم ، فلم يستطعْ رجلٌ أن يمتنع حتى يجتمعوا عندَها ، فتقولُ لهم : قد عَرَفْتُم ماكانَ من أَمْرِكم ، وقد وَلَدْتُ ، فهوَ ابنُك يافلانُ ، وتُسَمِّى من أحبَّت باسمه ، فيلحَقُ به ولدُها ، لا يستطيعُ أن يمتنع منهُ الرَّجُلُ .

الرابع : يجتمع ناسٌ كثيرون فيدخلونُ على المرأة ، لا تمتنع عمن جاءها ، وهُنَّ البَغَايَا ، ينْصِبْن على أبوابهن راياتٍ تكون عَلَماً ، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت جُمِعُوالها ودُعُوا القَلَفَه ثم ألْحَقُوا وَلَدها بالذى يَرَوْن فالْتَاطَ به (نُسِبَ إليه) ودُعِىَ ابنُه ، لا يمتنع من ذلك .

فلما بُعث محمد - ﷺ - بالحق هَدَم نكاحَ الجاهلية إلا نكاحَ الناس اليوَم [١] .

---

(١) رواه البخارى .

ومع هذا الوضع المتردى فقد كانت هناك بعض الأفكار الإنسانية المعتدلة ، التى تدعو إلى معاملة المرأة معاملة كريمة ، يتسنَّى معها إقامةُ أسرة طيبة ، ويتَّضح لنا ذلك من خلال النصيحتين التاليتين :

• نصائح « بتاح حوتب » أحد قدماء المصريين :

وفيها يقول : إذا أصبحتَ رجلًا ذا مركز فأقِمْ لك بيتاً (أى تزوج) ، وأحِبَّ زوجَتَك فيه حبًّا خالصًا ، أَعطها كفايتها من الطعام واللباس ، واشْتَرِ لها العِطْر ، وأعِدَّ لها الزيتَ ؛ لأن فيه شفاء أعضاء جسمها ، واجعلها سعيدةً ما دمت حيًّا ، فإن المرأة مرآةٌ لزوجها ، ينعكس فيها ما يبذله فى سبيل سعادتها ، لاتكنْ خشناً فى بيتك ، فاللين يحرك قلب المرأة ، والغلظة تنفِّرُها [١] .

• قوانين « حمورابى » فى بابل :

وفيها يقول : إن الزواج ليس إلا تعاقدًا بين الرجل والمرأة ، وإنه ليس للرجل أن يتزوجَ بأكثر من واحدة ما لم تكن عاقرًا أو مريضة بمرض لا أمل فى الشفاء منه ، والرجل مسئول عن ديونها التى تستدينها ، وعن البيت الذى تأوى إليه ، وعن الميراث الذى يتركه لها ولأولادها [٢] .

(جـ) واقع الأسرة فى النظم الحديثة :

لقد أضْحَتْ الأسرة فى المجتمعات الحديثه مفككة الأوصال ، وَاهِيَةَ العُرَا ، فهى أوْهَى من بيت العنكبوت ؛ ذلك لأن الحرية قد تحولت فيها إلى استهتار بالقيم الإنسانية ، واستخفاف بأبسط مواصفات الكرامة البشرية ، فانتشرت الفاحشة بين الأبناء بعد استفحالها بين الآباء ، وعمت صور الطلاق والمخادنة وفوضى الإجهاض ، كما طفَحَتْ تلك المجتمعات باللُّقطاء ، وإليك أخى

---

(١) انظر حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها .

(٢) المرجع السابق .

القارئ طرفاً من الإحصاءات التى تناولت هذه الفوضى الأخلاقية ، وهذا العبث الأُسرِىّ :

١ – يوجد فى المجر وحدها ٣٠ مليوناً من حالات الإجهاض سنويًّا ، وهو ما يعادل حالة إجهاض واحدة فى كل ثانية زمنية .

٢ – اكتشفت الشرطة فى اليابان أكثر من ٢٠٠ جريمة قتل أولاد بأيدى أمهاتهم تخلصًا من تبعاتهم ، وذلك فى عام ١٩٨٦ م .

٣ – فى مقاطعة « السين » بفرنسا ، كان واقع الأسرة كما يلى :

(أ) بلغت حالات فسخ النكاح ٢٩٤ حالة فى يوم واحد .

(ب) بلغ عدد المطلقين ١٣ مليون حالة فى عام ١٩٨١ م .

(جـ) بلغ عدد اللقطاء ٥٠ ألف لقيط فى عام ١٩٠١ م

٤ – أما عن واقع الأسرة فى « فرنسا » بصفة عامة فكان كما يلى :

(أ) بلغت نسبة الزوجات اللاتى لا يرغبن فى الإنجاب ٩٠٪ .

(ب) كان ارتباط الشباب والفتيات بآبائهم كما يلى :

- بلغت نسبة الشباب الذين يجهلون كل شىء عن والديهم ٧٠٪ .
- بلغت نسبة الشباب الذين انقطعت علاقتهم بآبائهم برغم علمهم بهم ٢٠٪ .
- بلغت نسبة الشباب الذين يتمتعون بعلاقة حسنة مع والديهم ١٠٪ [1] .

ونحن ندرك من خلال هذه الصورة وغيرِها مدى ما وصلت إليه الروابط الأسرية فى تلك المجتمعات من فردية وذاتية وانحلال وذوبان ، إنها بحق وصدق

---

(١) مجلة الأمة ، عدد (٧٠) السنة السادسة .

صورة قاتمة ، تنبئ عن خطر فادح وخطْب أليم مُنِيَتْ به البشرية فى تاريخها الحديث ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ ظهَر الفسادُ فى البر والبحر بماكسبت أيدى الناس ﴾ (١) . ويمكننا مطالعة هذه الصورة واضحة جلية على قسمات وجه شيخ أو أم عجوز ، لمحت عيناها قطةً أو كلبًا فانحنتْ تداعبه بكل عطف ورقة وتربتُ ظَهْرَهُ ، فقد وجدت فيه ضالتها المنشودة ، وبُغْيَتَهَا المفقودة ، وقد ترقرقت فى عَيْنَيْهَا دموع الأَسَى والحسرة على تلك العلاقات المفقودة فى دنيا البشر ، وكثيراً ما تنشأ صداقات حميمة بين الإنسان وبين هذه الحيوانات وغيرها ، كالحمير ، كما يتفننون فى الإغداق عليها عطاءً وحُبًّا ورعاية ، فيوفرون لها من أسباب الراحة الشىء الكثير ، مما لا يظفر به – فضلًا عن أن يحلُم بمثله – كثير من الناس ، ولم ينته بهم الأمر إلى هذا الحد ، بل إنهم أسسوا الجمعيات الخيرية لرعاية هذه الحيوانات ، وأَغْدَقَ الخيرون عليها تبرعاتهم ، بغرض رعايتها وتحسين مستويات معيشتها ، كما أنشئوا لبعضها المقابر الخاصة التى تضم رُفَاتِهَا ، بل وجنح بهم الخيال إلى مطالبة حكوماتهم بجعل هذه الأماكنَ أماكن أثرية ليفيد منها البشر .

إن البشرية قد ارتكست وانتكست ، واختلطت عليها أوراق كل شىء ، وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾ (٢) .

ولكى تتضح لنا معالم هذه الصورة الهزلية أكثر وأكثر فإننى أسوق لك أخى القارئ مقتطفاتٍ من مقالات بعض الصحف السيارة ، ثم نتبع ذلك بالتعليق والتعقيب على نحو ما يلى :

---

(١) سورة الروم : جزء من الآية ٤١ .

(٢) سورة التين : ١ – ٦ .

• **الحمير تكسب فى بريطانيا :**

نشرت جريدة أخبار اليوم فى يوم السبت ١٩٨٩/١٠/٢١ م مقالًا تحت العنوان السابق ، وجاء فيه : تؤكد الدراسات أن الحمير أحسن حظًا وأسعد حالًا من الإنسان فى بريطانيا ، فهى تفوز بنصيب الأسد من التبرعات التى يمنحها أثرياء إنجلترا فى وصاياهم للأعمال الخيرية . فقد تأسست إحدى جمعيات الرفق بالحمير منذ نحو ٢٠ عامًا فى مدينة « دنفون » وتلقت هذه الجمعية تبرعات من ٥٨٢ شخصاً خلال عام ١٩٨٨ قُدِّرَتْ بحوالى ٢,٢ مليون جنيه استرلينى ، وبما أن هذ الجمعية ترعى ٤ آلاف حمار ، فإن نصيب الحمار الواحد من هذه التبرعات يصل إلى ٥٥٠ جنيها إسترلينيًّا (حوالى ٢٢ ألف جنيه مصرى) . وتقول مديرة الجمعية : إن خدماتها تمتد للحمير فى الدول الأخرى مثل : كينيا ، وأثيوبيا ، حيث تعتمد شعوبها على الحيوانات القوية فى القيام بأعمالهم ...

كما قامت فى ألمانيا الغربية جمعية أصدقاء الحمير التى تَبَنَّتْ قضية غريبة ، حيث أثبتت للحمار الذكاء ونفت عنه الغباء !! كما يعلن بعض المتبرعين عن وقف ثرواتهم للحيوانات بدلا من الأقرباء ؛ لأن الناس – وخصوصًا أقاربهم – يُهْمِلُوْنَهُمْ فى أواخر أيامهم ، أما الحيوانات فتمنحهم الصحبة الحلوة والمتعة بدون انتظار مقابل .

وتشير الإحصائيات إلى أن جمعيات رعاية الحيوان قد حصلت مجتمعة خلال عام ١٩٨٨ على أكثر من ٢٢ مليون جنيه إسترلينى (حوالى ١٢٨ مليون جنيه مصرى) ، فى حين تلقى مركز أبحاث السرطان مبلغ ١٢,٧ مليون جنيه إسترلينى فقط .

وتلقت جمعية رعاية الكلاب المستخدمة لإرشاد المكفوفين ١٢,٨ مليون جنيه إسترلينى فى نفس العام ، وتلقى مستشفى علاج الحيوانات مبلغ ٨,٨ ملايين جنيه إسترلينى ...

• مقبرة كلاب باريس مَعْلم أثرى وأسطورى :

وإذا ما تركنا الحمير البريطانية تنعم بثرواتها الطائلة ، فإننا نجد تقليعةً أخرى فى باريس ، إنها مقبرة تضم رفات الكلاب ، وهذه المقبرة تقع على ضفاف نهر السين شمالى باريس ، ولقد أُنشئت هذه المقبرة منذ قرن من الزمان تقريباً ، وتضم نصباً تذكاريًّا لبطل أبطال الكلاب وهو الكلب « بارى » ، الذى كان يعيش فى دير فوق جبال الألب ، وقد تعرضت مجموعة من متسلقى الجبال إلى الهلاك فأنقذهم ذلك الكلب ، وقام آخرهم نجاة وهو الشخص رقم ٤١ بضرب هذا الكلب بمِعْوَل صغير ، وعاد الكلب ليموت فى الدير ، وكان جزاؤه جزاء سِنِمَّار ، ومن أجل هذه البطولة فقد أقيم له نصب تذكارى يُخَلِّدُ ذكره ، ويُذَكِّرُ ببطولته ، كما كان ذلك فتحاً ونصرًا للموتى من بنى جنسه ...

ويقدر عدد الحيوانات التى دفنت فى تلك المقبرة بأكثر من ٥٠ ألف حيوان ، مابين قط وكلب ، ونظرًا لتأثر هذه المقبرة بمياه نهر السين فقد ثار الرأى العام الفرنسى لذلك ، وتكونت جمعية لأصدقاء المقبرة ، وطالبت السلطات الفرنسية بإنقاذ المقبرة ، حيث يلزم لترميمها نحو ٥ ملايين فرنك فرنسى ، كما طالبت الجمعية بجعل المقبرة معْلمًا أثريًّا ، بل وأسطوريًّا .

ومن الطريف أن كلب ملكة « رومانيا » تم دفنه بهذه المقبرة عام ١٩٥٣ م ويبلغ سعر دفن الحيوان بها ٥٠٠ فرنك فرنسى ، يُضَافُ إليها ٧٠٠ فرنك سنويًّا مقابل تجديد عقد الإيجار ، وقد كتبت على المقابر تعليقات عزاء من أصحاب هذه الحيوانات تدل على ما يعتمل فى نفوسهم من حسرة ولوعة وضياع ، ومن أمثلة ذلك : خدعنى البشر ولم يخدعنى كلبى [١] ...

---

(١) جريدة أخبار اليوم (بتصرف) ، أكتوبر ١٩٨٩ م .

• كلبة ترعى طفلًا :

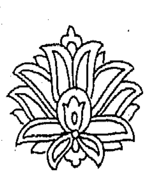
كشفت صحيفةُ (صنداى إكسبريس) البريطانيةُ عن تفاصيل قصة غريبة ، جرت وقائعها فى مدينة (استن الألمانية) ، فقالت : إن والدى الطفل (هورست رنهارد) قد أدْمنا الخمرَ إلى حدٍّ أنهما هجرا منزلهما وتركا وحيدَهما الصغيرَ وحيدًا مع كلبة تدعى (إستا) التى سهرت على رعايته ، ولكن كما تفعل الكلاب مع صغارها ، ولما علم رجال البوليس بذلك اقتحموا المنزل ، وكانت المفاجأة أنهم وجدوا الطفل يلتهم دجاجة نيئة أحضرتها له الكلبة ، فقاموا بإلحاقه بأحد الأديرة ، تحت رعاية راهباته ، وقد بلغ الطفل سنَّ الخامسة ، ولكنه لم يتعلم الكلام بعد ، ومازال يصدر أصواتاً تشبه النباح ، ولا ينفعل بما يراه حوله ... [1] .

وتعليقنا على هذه الواقعة ما قاله الأول :

عَوَى الذئبُ فاستأنست بالذئب إذْ عَوى

وصَوَّت إنسانٌ فكِــدتُ أطِيــرُ

* * *



(١) أخبار اليوم عدد ١١٦٥٥ السنة (٣٨) ١٩٨٩/٩/٢٠ م .

التعليـــق :

يتضح لنا من خلال تلك الصورة التى عرضناها لك عن تلك المجتمعات التى أعرضت عن هدى السماء ، واغترت بعقولها القاصرة ، فسادتها فَوضى التحلل والانحلال الأسرى ، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا ، وأَضْحَوا يضربون فى بيداء الجهالة ، وراحوا يخبطون فيها خبط عشواء ، ﴿ وما ظَلَمُهم اللهُ ولكنْ أَنْفُسَهُم يظلمون ﴾ (١) .

وتلك هى الملامح العامة لتلك المجتمعات نوجزها فيما يلى :

١ – إن هذه المجتمعات – وإنْ كانت تجد الطعام والشراب والملبس والمسكن ، بل وتحيا حياة مادية رافهة – قد فقدوا أنفسهم وذواتهم فى خضم تلك الحياة العابثة اللاهية ؛ وذلك لأنهم فقدوا أعظم شىء فى هذا الوجود ، فقدوا السكينة والرحمة ، وتلك غايات لا تتحقق إلَّا بامتثال أمر الله واجتناب نواهيه ، وهى ما تحفل به شريعة الله ، وعليه ، فقد باتوا يُصَدِّرُونَ القلقَ والتوتُّر للمؤمنين بالله فى صور شتى ، من السموم المخدرة ، ووسائل التقنية اللاهية العابثة ، التى تقتل الوقت وتدمر القيم ، وتُغرى بالجريمة ، وتجعل الحياة فارغة من المحتوى ، خالية من المضمون .

٢ – إن واقع هذه المجتمعات واقع قَلِقٌ ، والإنسانية فيها تتخبط فى دَيَاجِير الظلام ، تلْهث وراءَ سَراب من الوَهْم ، كلما اقتربت منه شبرًا ابتعد عنها أميالًا ، مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ والذين كفروا بربهم أعمالُهم كسرابٍ بِقِيعَةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه حسابه والله سريع الحساب * أو كَظُلُماتٍ فى بحر لُجِّىٍّ يغشاهُ مَوْجٌ من فوقه مَوْجٌ من

---

(١) سورة آل عمران : ١١٧ .

فوقه سحاب ، ظلماتٌ بعضها فوق بعض ، إذا أخرج يَدَهُ لم يكد يراها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ [١] .

إنهم يحيون حياة جافَّة خالية من عناصر المودَّة ومكارم الأُخلاق ، ولا أدل على ذلك من أنهم قد أَضْحَوْا يلتمسون الرحمة عند الحيوان ، حيث لا يجدونها فى دنيا الإنسان ، فراحوا يخطبون وُدَّ القطط والحمير والكلاب ، كل ذلك فى صورة مادية بغيضة تَنِمُّ عنها تعليقاتهم ، حيث يقولون : إن هذه الحيوانات تمنحهم الصحبة الحلوة بدون مقابل .

٣ - إنهم يأتون من الأفعال والتصرفات مالا يستند إلى منطق ولا يحتكم إلى عقل ، فعلامَ يُصادِقُون الحمير ؟ وعلامَ يرفعون عنها خسيسة الغباء ؟ وعلام يوقفون عليها الأموال الطائلة ؟ ...

كل ذلك فى الوقت الذى تعانى فيه كثير من دول العالم الفقر والفاقَةَ ، بل والحرمان حتى من ضروريات الحياة ، كل هذا أيضًا فى الوقت الذى لا تعدو فيه هذه الحيوانات أن تكون مخلوقات مُسَخَّرةً لخدمة الإنسان إذا احتاج إليها ، وفى ذلك يقول الله - تعالى -:

﴿ والأَنعام خلقها ، لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جَمالٌ حين تُرِيحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بِشِقِّ الأنفس ، إن ربكم لرءوف رحيم * والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ﴾ [٢] .

---

(١) سورة النور : الآيتان ٣٩ و ٤٠ .

(٢) سورة النحل : ٥ - ٨ .

ويقول أيضاً :

﴿ مثل الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أَسْفَارًا بئس مثل القوم الذين كَذَّبُوا بآيات الله ، والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (١) .

كما يضرب المثل بحيوان أخس من الحمار لكل من أعرض عن ذكر الله ، يقول تعالى :

﴿ وَاتْلُ عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فَانْسَلَخ منها فَأَتْبَعَه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ، إنْ تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كَذَّبُوا بآياتنا فَاقْصُصِ القَصَصَ لعلهم يتفكرون ﴾ (٢) .

٤ – إن تصرف القوم فى أموالهم بالوصية إلى هذه الحيوانات نوع من السَّفَهِ أو هو السفه بعينه ، فلو استقامت فطرتهم لأصْغَوا لقول الله – تعالى –: ﴿ وإذا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولو القُرْبَى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولًا معروفاً ﴾ (٣) .

ولكن الحقيقة أنه أصبح يصدق عليهم قول القائل :

إذا الإيمان ضاع فلا أَمَانٌ ولا دنيا لمن لم يُحْيِ دينَا
ومَنَ رَضِى الحياةَ بغير دينٍ فقد جعل الفناء لها قريناً

٥ – إنَّ تصرفهم هذا مع الحيوان تصرف شائهٌ مَعِيبٌ ؛ ذلك لأنه تصرف مبنى على الهوى والغرض ، فهم يتخذون من التحريش بين حيوانات أخرى والتمثيل

---

(١) سورة الجمعة : ٥ .
(٢) سورة الأعراف : ١٧٥ و ١٧٦ .
(٣) سورة النساء : ٨ .

بها لَوْنًا من ألوان التسلية والتلهية ، فيما هو معروف لديهم بمصارعة الدِّيَكَة والخِرَاف والثِّيران ، إلى الحد الذى تسيل فيه دماؤها ، بل وتُزْهَق أرواحها ، فكل ذلك لا يعدو أن يكون لوناً من ألوان المُثْلَة بالحيوان ، فلو كانت مقرراتهم ومناهجهم صادقةً – ولن تكون – لَاسْتَقَامَتْ تصرُّفَاتُهم ، ولساد رِفْقُهُم جميعَ خلق الله ، ولكنه اتباع الهوى فى غير ذات الله ، واختلاط أوراق كل شىء ، بل وتبعثرها ... !!

* * *



التعقيب :

إن أوضح ما نعقب به على هذه الصورة بعد التعليق عليها هو موقف الإسلام حيال هذه القضية الجوهرية ، والذى نستطيع تلخيصه فيما يلى :

١ – لقد وضعت شريعة الإسلام الأمور فى نصابها ، فلا إفراط ولا تفريط ، كل ذلك من خلال قانون الرحمة العامة التى تتعدى حدود النوع البشرى لتنتظم سائر الحيوانات ، ممثلًا فى ذلك السؤال الموجه إلى رسول الله – ﷺ – أئنَّ لنا فى البهائم لأجرًا ؟ قال : « نعم ، فى كل ذات كبدٍ رَطْبَة صدقة » .

٢ – إن مقررات الرفق بالحيوان ميدان رحب فسيح فى دين الله ، لا يقل وضوحا فى المنهج العملى عنه فى المنهج النطرى ، فهناك النصوص التى تأمر بالرفق ، مع النصوص التى تنهى عن الشدة والعسف ، كل ذلك مع الأفعال الرشيدة ، والتصرفات الحميدة التى تنصف هذه المخلوقات ، ونحن نجتزىء من هذه المواقف بما يلى :

(أ) الدعوة القولية إلى الرفق بالحيوان :

• ويقول رسول الله ﷺ : « اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » .

• ويقول أيضا : « من مَثَّل بذى روح ثم لم يتب مَثَّلَ الله به يوم القيامة » .

(ب) الدعوة العملية إلى الرفق بالحيوان :

• كان رسول الله – ﷺ – يَدُقُّ الشعيرَ لبغلته « دُلْدُل » حينما سقطت أسنانها وكُفَّ بصرُها .

• كان النبى – ﷺ – يُمِيلُ الإناءَ للهرة فى بيته لتتمكن من رى ظمئها .

• مرَّ رسول الله – ﷺ – فوجد حمارًا قد وُسِمَ فى جبهته (تم كَيُّه بالنار فى وجهه) فقال : « لَعَنَ الله الذى وسَمَه » .

• رأى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – رجلًا يسحب شاة من رجلها ليذبحها ، فقال له : « ويلك قُدْهَا إلى الموت قَوْدًا جَمِيلًا » .

• عَشَّشَتْ حمامةٌ بُفُسْطَاط (خيمة) عمرو بن العاص إبَّان الفتح (أى فتح مصر) ، فلما أراد الانصراف لم يهِجْهَا بتقويض الفسطاط ، ولكن تركه من أجلها ، فكان ذلك سببًا فى تكاثر العمران حوله ، وقامت مدينة كبيرة عرفت فيما بعد باسم مدينة الفسطاط .

(جـ) الرفق بالحيوان فى الأحكام الفقهية :

• نفقة الحيوان واجبة على مالكه .

• إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت نفقتها عليه إذا لم تقدر على الانصراف .

• يحظر تحميل الدواب أكثر من طاقتها ، كما يحظر تعذيبها وضربها وتجويعها ، وكان من بين مهام المحتسب (المفتش) مراقبة الالتزام بهذه المبادئ .

• أنشئوا وقفاً للكلاب الضالة حيث توضع فى أماكن مخصصة لرعايتها ، استنقاذًا لها من الجوع حتى تستريح إمَّا بالموت أو بالاقتناء .

وهذا غيض من فيض ...

فأى صورة أبهى وأنصع من هذه الصورة ؟! ...

لك أن تتصور ديناً تصل سماحته فى الرفق بالحيوان إلى هذا الحد ، كم تكون دعوته للرفق بالإنسان ؟! .

* * *

ثانيًا : واقع النظام الأسرى لدى المسلمين :

(أ) المرأة :

لقد تبوأت المرأة فى ظل الإسلام وتعاليمه مكانة لم تَحْظَ بمثلها فى أى نظام اجتماعى آخر مِمَّا تواضع عليه الناس ، حيث قدَّرَهَا الإسلامُ حقَّ قدرها ، وفتح أمامها أبواب المثل العليا والقيم الأخلاقية الرفيعة ، فهى تمثل نصف المجتمع الإنسانى ؛ إذْ النساءُ شقائق الرجال ، والمرأة بالنسبة للرجل : أمٌّ ، أو ابنة ، أو جدة ، أو أختٌ ، أو خالة ، أو عمة ، ويكفى أن نشير إلى جملة من النصوص والوقائع التى يتجلى لنا من خلالها أن الإسلام قد أعْلَى من قَدْرِ المرأة ورفع عنها خسيستها فيما يلى :

القرآن :

• يقول الله - تعالى :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخَلَق منها زَوْجَها وبَثَّ منهما رجالًا كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (١) .

• ويقول عز من قائل :

﴿ إنَّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات أعَدَّ الله لهم مغفرة وأجرًا عظيمًا ﴾ (٢) .

---

(١) سورة النساء : ١ .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٥ .

• ويقول الخلاق العليم :

﴿ ومن آياته أن خَلَقَ لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مَوَدَّةً ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ [١] .

• ويقول جل ذكره : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحَفَدَة ... ﴾ [٢] .

السنة المطهرة :

كما جاءت السنة المطهرة فكانت الصدى المتجاوب مع القرآن الكريم ، فلم تدع شيئًا من شأنه إعلاءُ شأن المرأة إلا وأبرزته ، وبَيَّنَتْهُ ووَضَّحَتْهُ ، سواء فى مجال العبادات أو المعاملات أو الأخلاق أو الإرث ، كل ذلك فى وضوح واضح ، وبيان بَيِّن ، وجلاء جلِيٍّ ، يفوقُ الشمس فى رابعة النهار ، وإنى موردٌ طرفاً من هذه النصوص فيما يلى :

• روى الطبرانى بسنده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ – : « ما أفاد عبد بعد الإسلام خيراً له من زوجة مؤمنة إذا نظر إليها سرته ، وإذا غاب عنها حفظته فى نفسها وماله » [٣] .

• وقال رسول الله – ﷺ – : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فإنى مُبَاهٍ بكم الأُمَمَ يوم القيامة » [٤] .

• ويقول أيضاً : « تزوجوا الولودَ الوَدُودَ فإنى مكاثر بكم الأمم [٥] » .

---

(١) سورة الروم : ٢١ .

(٢) سورة النحل : جزء من الآية ٧٢ .

(٣) مجمع الزوائد للهيثمى حـ ٤ ص ٢٧٢ .

(٤) رواه البيهقى .

(٥) رواه أبو داود والنسائى والحاكم .

• ويقول رسول الله – ﷺ – : « ما استْفادَ المؤمنُ بعدَ تقْوى الله – عز وجل – خيرًا له من زوجة صالحة ، إنْ نظر إليها سرَّته ، وإن أمرَها أطاعته ، وإنْ أقْسَم عليها أبرَّته ، وإن غاب عنها حفِظته فى نفسها وماله [١] » .

(ب) فلسفة الزواج وتكوين الأسرة فى الإسلام :

إن مفهومَ الزوجية فى الإسلام يعتبر سرَّ وجود هذا العالم ، فكل ما نراه فى هذا الكون من بديع صُنع الله مُؤسَّسٌ على هذه العلاقة ، يستوى فى ذلك الحيوان والجماد والنبات ، يقول الله – تعالى : ﴿ ومن كل شيءٍ خَلَقْنَا زوجين لعلكم تَذَكَّرُون ﴾ [٢] . وذلك أمر يقتضى تقديسَ الله وتنزيهَهُ ، قال تعالى : ﴿ سبحان الذى خلق الأزواج كلَّها مما تُنبت الأرضُ ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ [٣] .

والنوع الإنسانى كَرَّمَهُ الله تعالى ، فقد خلق الله آدم بِيديه ، ونفخَ فيه من رُوحه ، وعلمَه الأسماءَ كلَّها ، وأسَجَد له ملائكته ، وكرَّمَهُ وفَضَّلَهُ على كثير من خلقه تفضيلاً : ﴿ ولقد كَرَّمْنَا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفَضَّلْناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ [٤] . فالنوع الإنسانى – لكل هذا وغيره – أهل لِمُسَاوَقَةِ هذه السنة الكونية التى تَتَوَافَقُ معَ الفطرة وتَأْتَلِفُ معها ، كما أن النظام الأُسْرِىَّ هو الوسيلةُ الوحيدة التى تضمْن امتدادَ العنصر البشرى وبقاءَهُ وحمايته من الانحلال والذوبان ، وتُحَصِّنه ضدَّ الهزَّات الاجتماعية

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) سورة الذاريات : ٤٩ .

(٣) سورة يس : ٣٦ .

(٤) الإسراء : ٧٠ .

العنيفة ، ففى ظل هذه العلاقة يَنْعَمُ الإنسانُ بالمزايا التالية :

١ – تكوين شخصية الإنسان :

للزواج أثرٌ كبيرٌ فى تكوين شخصية الإنسان ، بل وصياغته على نحو جديد ، ففيه الحفاظُ على صحته ، والإبقاءُ على نَسْله ، واستعلاءُ صفاتِ الخير فيه ، فهو وضع فِطْرى ارتضاه الله وبيَّن مقوِّماته ، قال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رُسَلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ (١) .

٢ – تقويةُ روابط الأُخُوَّة :

تحظى البشرية فى رحاب إقامة هذه العَلاَقة بتوكيد روابط الأُخوة ، وتوسيع دائرة المعرفة بين الأفراد والشعوب ، تحقيقاً لقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إن اللهَ عليمٌ خبيرٌ ﴾ (٢) .

وتحقيقاً لقول رسول الله – ﷺ – : « إنكم ستفتحون مصر ، وهى أرض يُسَمَّى فيها القيراطُ ، فإذا فتحتُموها فأَحْسِنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذِمَّةً ورحمًا – أو قال ذِمَّةً وصِهْراً » (٣) .

٣ – فيه حماية المجتمع من التلوث وصيانة الأنساب :

ففى الزواج حمايةُ المجتمع من التلوث والانحراف والشُّذُوذ ، وبالتالى حمايته من المخاطر والأمراض والأوبئةِ التى يُسلطها الله على المجتمعات المُنْحَلَّة ، يقول رسول الله – ﷺ : « ما ظهرت الفاحشةُ فى قوم يُعْمَلُ بها فيهم علانيةً إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجَاع التى لم تكن فى أَسْلافهم » (٤) .

---

(١) سورة الرعد جزء من الآية : ٣٨ .

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية بأهل مصر .

(٤) رواه البيهقى وأخرجه الحاكم .

٤ - تحصيل الأجر من الله :

فعن أبى أُمَامَةَ أن رسول الله - ﷺ - قال : « من أنفقَ على امرأته وولده وأهلِ بيته فَهِىَ صدقة » [١] .

وفى صحيح مسلم أن النبى - ﷺ - قال : « دينارٌ أَنفَقْتَه فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رَقَبَةٍ ، ودينار تصدَّقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلِك ، أعظمُها أجرًا الذى أنفقته على أهلك » .

لكل هذا وغيره ، حرص الإسلام على رعاية الأسرة رعايةً كريمةً ، ووضع لها مقومات النجاح والاستمرار ، كما اهتم بتوثيق عُرَاهَا ، وتدعيم بنيانها ، وحمايتها من جميع المؤثرات التى تُضْعِفُ كِيَانَها .

* * *



(١) رواه الطبرانى .

الفصل الثالث

منهج الإسلام فى بناء الأسرة

أولا : الترغيبُ فى الزواج :

لقد حضَّت الشريعةُ الإسلامية على الزواج وحثَّت عليه ، يتضح ذلك جليًّا من خلال نصوصها المتضَافرة والمتوَافرة ، أمرًا به وترغيبًا فيه ، وتنفيرًا من الإعراض عنه ، يقول الله – تعالى : ﴿ وأَنْكِحُوا الأَيامَى منكم والصَّالحين من عبادكم وإمائكم إنْ يكونوا فقراء يُغْنِهِمُ الله من فضله ، والله واسع عليم ﴾ (١) .

ويقول أيضا : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنينَ وحَفَدةً ورزقكم من الطيبات ﴾ (٢) .

ويقول عز من قائل : ﴿ والذين يقولون ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ (٣) .

والسنة النبوية فى هذا المجال حافلة قولًا وفعلًا وتوجيهاً ، فقد تزوَّج رسول الله – ﷺ – النساءَ فكان خيرَ الأزواج ، كما كانت نساؤُه خيرَ النساء وأُمّهاتِ المؤمنين ، روى ابن مسعود أن رسول الله – ﷺ – قال : « يا معشرَ الشباب من استطاع منكم البَاءَةَ فَلْيَتَزَوّج ، فإنه أَحْصَنُ للفرج ، وأَغَضُّ للبصر ، ومن لم يستطع فعليه بالصَّوم فإنه له وِجَاء » (٤) ، والباءة : إما أَنْ يُرادَ بها القدرة

---

(١) سورة النور : ٣٢ .

(٢) سورة النحل : جزء من الآية : ٧٢ .

(٣) سورة الفرقان : ٧٤ .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

على الوَطْءِ كما قال ابن القيم ، أو يراد بها تكاليف النكاح والزواج بصفة عامة .
وعن أنس قال : (كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتُّل نهيًا شديدًا ويقول : « تزوجوا الودود فإنى مكاثرٌ بكم الأنبياء يوم القيامة » [٥] . وعن عبد الله بن عمرَ أن رسول الله - ﷺ - قال : « الدنيا مَتَاعٌ ، وخير متاعها المرأةُ الصَّالحة » [٦] .

ثانيا : تنفيرُ الإسلام من العُزُوبة :

معنى العزوبة :

تُطلق هذه الكلمة وصفًا للرجل والمرأة ، فيقال : رجل عَزَب وامرأةٌ عَزَب ، بدون زيادة التاء الفارقة بين الذكر والأنثى ، وهذه الكلمة مأخوذة من عَزَبَ الرجل عُزُوبَةً إذا لم يكن له زوجة .

حكم العزوبة :

العزوبة بمعنى الإعراض عن الزواج والعُزُوف عنه مع القدرة البدنية والاستطاعة المادية خُلُقٌ نَفَّرَ الإسلام منه ، وشَدَّدَ النكير على المتَّصِفين به ، إلى الحد الذى جعل رسول الله - ﷺ - يصفُهم بأنهم من إخوان الشياطين ، وأن العُزَّابَ هم شِرَارُ الأحياءِ والأموات ، وما ذلك إلا لما فى هذا الخلق من مُجَافَاةٍ للطبيعة البشرية ، ومُجَانَبَةٍ للصواب ، ولما فيه من كَبْتٍ للغريزة الإنسانية ، وتعطيلٍ للنوع البشرى ، وتعويقٍ له عن النمو والازدهار .

---

(١) رواه أحمد ومسلم والطبرانى والبيهقى وابن حبان .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن حبان .

نماذج للحَضّ على الزواج والنهى عن العزوبة :

١ - قصة : عَكَّاف بن وَدَاعَةَ الهلالى :

روى الإمام أحمد وأبو يعلى فى مسنديهما ، أن رسول الله - ﷺ - قال لعَكَّاف بن وداعةَ الهلالى :

« ألكَ زوجة ياعَكَّاف ؟ » .

قال : لا .

قال : « ولا جارية ؟ » .

قال : ولا جارية .

قال : « أنتَ صحيحٌ مُوسِر ؟ » ، أى صحيح الجسم وتستطيع نفقةَ الزواج .

قال : نعم - والحمد لله - يارسول الله .

قال : أنت إذًا من إخوان الشياطين ، لو كنتَ من النصارى كنت من رُهبانهم ، وإمَّا أن تكون منَّا فاصنَع كما نصنع ، فإن النكاح من سُنَّتِنا ، شِرَارُكم عُزَّابُكم ، وأَرَاذِل موتاكم عُزَّابكم ، أبالشيطان تمرسون ؟ ما للشيطان سلاح أبلغ فى الصالحين من النساء ، إلا المتزوجون ، أولئك المطهرون المُبَرَّءُونَ من الخَنَا ، وَيْحَكَ ياعكاف ، إنهن صواحب أيوب ، وداودَ ، ويونس ، وكُرْفُس » .

قال بِشْرُ بن عطية : مَنْ كرفس يارسول الله ؟ .

قال : « رجل كان يعبد الله بساحل من سواحل البحر ثلاثمائة عام ، يصوم النهار ويقوم الليل ، ثم إنه كفر بالله بسبب امرأة عَشِقها وترك ماكان

عليه من عبادة ، ثم استدركه الله ببعض ماكان منه فَتَابَ عليه ، ويحك ياعكَّاف تزوج وإلا فأنت من المذبرين » .

قال : زَوِّجْنِى يارسول الله .

قال : « زوجتك كريمةَ بنتَ كُلْثُوم الحِمْيَرِى » (١) .

٢ - توجيه النبى لأحد خُدَّامِه :

انقطع بعضُ الصحابة إلى رسول الله - ﷺ - يَخْدمه ويبيت عنده لحاجة إن طَرَقَتْهُ ، فقال له رسول الله - ﷺ - « ألا تتزوج ؟ » .

فقال : يارسول الله إنى فقير لا شيءَ لى ، وأنقطع عن خدمتك ، فسكت النبى - ﷺ .

ثم عاد ثانيًا فأعاد الجواب .

ثم تفكر الصحابىُّ وقال : والله لَرَسُولُ الله أعلمُ بما يُصْلِحُنى فى دنياى وآخرتى ، وما يُقربنى إلى الله مِنِّى ، ولَئِنْ قال لى الثالثة لأَفْعَلَنَّ . فقال له الثالثة : « ألا تتزوج ؟ » .

قال : فقلت : يارسول الله زَوِّجْنِى .

قال : « إذهبْ إلى بنى فلان فقل : إن رسولَ الله يأمركم أن تُزَوِّجُونى فَتَاتِكُم » .

قال : فقلت : يارسول الله لا شَىْءَ لى .

فقال لأصحابه : « اجمعوا لأخيكم وزنَ نواةٍ من ذهب » .

---

(١) انظر نظام الأسرة فى الإسلام ص ١٦ ، وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة حـ ٤ ص ١٨ .

فجمعوا له ، وذهبوا به إلى القوم فأنكحوه .

فقال له رسول الله – ﷺ – : « أَوْلِمْ » أى اصنع وليمةَ العرس ، وجمعوا له من الأصحاب شاةً للوليمة [١] .

٣ – النبى يأمر زيدَ بن ثابت بالزواج :

قال رسول الله – ﷺ – لزيد بن ثابت : « هل تزوجت يازيد ؟ »
فقال : لا . فقال له : « تزوج تَسْتَعِفَّ على عفتك ، ولا تَزَوَّجَنَّ خمسًا » ،
فقال : من هن يارسول الله ؟ .

فقال : « الشَّهْبَرة ، واللَّهْبرة ، والنَّهبرة ، والهَنْدَرة ، واللَّفُوت » .

فقال زيد : لا أعرف شيئًا مما قلتَ يارسول الله !!

فقال رسول الله – ﷺ – :

« أما الشهبرة : فهى الزَّرْقَاءُ البذيئة » أى زرقاء العين .

« وأما اللهبرة : فهى الطويلة المهزولة » .

« وأما النهبرة : فهى العجوزُ المُدْبِرَة » .

« وأما الهَنْدَرة : فالقصيرة الدميمة » .

« وأما اللَّفوت : فَذَاتُ الولدِ من غيرك » [٢] .

---

(١) رواه أحمد من حديث ربيعة الأسلمى فى حديث طويل ، وهو صاحب القصة ، بإسناد حسن ، انظر إحياء علوم الدين للغزالى جـ ٤ ص ٦٨٥ ، ٦٨٦ .

(٢) انظر قرة العيون بشرح نظم ابن يامون ص ١٣ ، طبعة الحلبى .

٤ - فى إتْيَانِ الأهل صدقة :

عن أبى ذرٍّ ، أن ناسًا من أصحاب النبى - ﷺ - قالوا : يارسول الله ذهب أهلُ الدُّثور (الأغنياء) بالأجور ، يُصَلُّونَ كما نُصَلِّى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفُضُول أموالهم ، قال عليه الصلاة والسلام : « أَوَ لَيْسَ الله قد جعل لكم ما تَصَدَّقون به ؟ إن بكل تهليلة صدقة ، وبكل تحميدة صدقة ، وبكل تكبيرة صدقة ، وأمْرٌ بالمعروف صدقة ، ونَهْىٌ عن المنكر صدقة ، وفى بُضْع أحدكم صدقة » (أى فى مُجَامَعَةِ الرجُلِ أهلَهُ صدقة) .

قالوا : يارسول الله أيأتى أحدُنا شهوَته ويكون له فيها أجر ؟ .

قال : « أرأيتم لو وضَعها فى حرام كان عليه وِزْر ؟ » .

قالوا : بلى .

قال : « فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له فيها أجر » [(١)] .

ثالثا : النهى عن التَّبَتُّل :

معنى التَّبتل :

التبتل لون من ألوان الانقطاع للعبادة والامتناع عن قِربان النساء وجماعِهِنَّ ، وهو يختلف عن العزوبة من حيث إن الأعزبَ لازوجةَ له ، أما المتبتل فله زوجة ، ولكنه لا يقربها ، بل ينقطع عن قِربانها وغِشْيَانها ، مَخَافَةَ أن تشغله عن العبادة .

حكم التبتل :

بالرغم مما يشوب التبتل ظاهريًّا من حُسنِ النية وشرف القصد ، فإنَّهُ

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه .

منهِىٌّ عنه ؛ لما فيه من افْتِيَات على الزوجة بإضَاعة حقِّها المشروع فى الوطء والنكاح ، فهو لا يعدُو أن يكونَ لوناً من إلباس الباطل ثوبَ الحق ، وقد أخرج الإمام أحمد من حديث سعد بن هشام ، أنه قال لعائشة - رضى الله عنها : إنى أريد أن أسألك عن التبتل فما تَرَيْنَ ؟ .

قالت فلا تفعل ، أما سمعت الله عز وجل - يقول : ﴿ ولقد أرسلنا رُسُلًا من قبلك وجعلنا لهم أزواجًا وذُرية ﴾ [1] فلا تتبتل .

قال : فخرج وقد فَقُهَ (أى صار عالماً بفقه وحكم هذه القضية) ، وقدم البصرةَ فلم يلبث إلا يسيرًا حتى خرج إلى أرض « مَكْرَان » فَقُتل هناك (أى مجاهدًا) على أفضل عَمَله [2] . أى أن الله قد هداه ، وعدَل عن التبتل والانقطاع للعبادة فحسب ، وخرج يجاهد فى سبيل الله ، فختم الله له بخاتمة السعادة .

وعن طاووس ، أن رسول الله - ﷺ قال : « لازِمَامَ ، ولا خِزَام ، ولا رهبانية فى الإسلام ، ولا تبتلَ ولا سياحة فى الإسلام » [3] والزمام والخزام مواد من شعر أو معدن يضعها عُبَّاد بنى إسرائيل فى أُنُوفِهِم ، أو تُخْرَمُ بها تَراقِيها (رقابها) مبالغة فى الألم والمشقة والتقرب إلى الله ، وأما الرهبانية والتبتل والسياحة فألوان من الانقطاع للعبادة والمبالغة فيها ، وقد خَفَّفَ الله على أمة الإسلام فَوَضَعَ عنها هذه الأشياء ، وجعل ممارسةَ الناس لحياتهم فى طبيعة وسهولة ويسر أمرًا فطريًّا وأمرًا عباديًا ، ما صاحبتهُ نية تخلص العبادة من العادة .

صور من التبتل مصحوبة بالنهى عنها :

---

(١) سورة الرعد : ٣٨ .

(٢) انظر نظام الأسرة فى الإسلام ص ١٤ .

(٣) انظر عيون الأخبار جـ ٤ ص ١٨ .

١ – النَّفرَ الذين أتَوْا يسألون عن عبادة رسول الله – ﷺ :

رَوَى ابنُ جرير الطبرى فى تفسيره عن السُّدِّىِّ عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُحَرِّمُوا طيباتِ ما أحَلَّ الله لكم ولا تعتدوا ، إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [١] .

قال : جلس رسول الله – ﷺ – يومًا فَذَكَّر الناس ثم قام ولم يَزِدْهم على التَّخويف ، فقال أناسٌ من أصحاب النبى وكانوا عَشَرَةً (منهم على بن أبى طالب ، وعثمان بن مَظْعُون) : ما خِفْنَا أن لم نُحْدِثْ عملاً (أى إنْ لم نُحْدِث عملًا شديداً شاقًا على النفس نَتَقَرَّب به إلى الله) ، إن النصارى قد حرَّموا على أنفسهم فنحن نحرِّم ، فحرَّم بعضهم أَكْلَ اللحم والوَدَكِ (الدَّسَم) وأن يأكَلَ بالنهار (أى يصوم) ، وحرَّم بعضهم النومَ ، وحرم بعضهم النساءَ (أى الجماعَ) ، فكان عثمان بن مظعون ممن حرم النساءَ ، وكان لا يَدْنُو من أهله ولا يدْنُونَ منه ، فأتَتْ امرأتُهُ عائشةَ – رضى الله عنها – ومَن عندَها من نساء النبى – ﷺ – وكان يُقالُ لهذه المرأة « الحوْلاَء » ، فقالت لها عائشة : مابَالُكِ ياحولاءُ مُتَغَيِّرَةُ اللَّون لا تَمْتَشِطِينَ ولا تَتطَيَّبِينَ ؟

فقالت : كيف أتطيبُ وأتمشَّط وما وَقَعَ علىَّ زوْجى ولا رَفَعَ عَنِّى ثوبًا منذْ كذا !! فَجَعَلْنَ يَضْحَكْنَ من كلامها ، فدخل رسول الله – ﷺ – وهُنَّ يضْحكن ، فقال : « ما بَالكُنَّ ؟ » .

قالت عائشة : يارسول الله سألْتُ « الحولاءَ » عن أمرها فقالت : ما رَفَعَ زوجى عنى ثوبًا منذ كذا وكذا ...

فأرسل الرسول – ﷺ – إلى عثمانَ فَدَعَاهُ ، فقال : « مابالك

---

(١) سورة المائدة : ٨٧ .

ياعثمان ؟ » . قال : إنى تَرَكْتُه (أى النكاحَ) لِلّه لكَىْ أَتَخَلَّى للعبادة ، وقَصَّ عليه أَمْرَهُ ، وكان قد أرادَ أن يَجُبَّ نفسه (أى أراد أن يَخْتَصِىَ ، مبالغةً فى عدم قِربان النساء) .

فقال رسول الله – ﷺ : « أَقْسَمْتُ عليك إلا رجعت فَوَاقَعْتَ أَهْلَكَ » . فقال : يارسول الله إنى صائم . قال : « أَفْطِر » . فأفطر وأتى أهلَه ، فرجعت « الحولاءُ » إلى عائشةَ وقد امتَشَطَتْ واكْتَحَلَت وتطيَّبَتْ ، فضَحِكت عائشةُ وقالت : مابالِكِ ياحولاءُ ؟ فقالت : إنه (أى زوجها) أتَاهَا أمس .

فقال رسول الله – ﷺ : « ما بال أقوام حرَّموا النساءَ والطعامَ والنومَ ؟ ألا إنى أنامُ وأقومُ ، وأفطرُ وأصومُ ، وأنكحُ النساء ، فمن رَغِبَ عن سنتى فليس منى » فنزل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تُحَرِّمُوا طيباتِ ما أَحَلَّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [(١)] ، وقال لعثمان : « لا تَجُبَّ نَفْسَكَ فإن هذا هو الاعْتِدَاءُ » وأمَرَهم أنْ يُكَفِّروا عن أَيْمَانِهم فقال : ﴿ لا يؤاخذكم الله باللَّغو فى أيمانكم ولكن يُؤاخذكم بما عَقَّدْتُم الأَيمانَ ﴾ [(٢)] .

فَسَارَعَ عثمانُ وَبقيَّةُ الصحابة إلى تَنْفِيذِ أمرِ الله ورسوله ، ومُبَاشَرَةِ الأمور الحياتِيَّةِ العادية مع الاعتدال فى عبادتهم لله بما يتفق مع قدراتهم .

٢ – تبتُّل أبى الدَّرْدَاء :

عن عَوْن بن أبى جُحَيْفَةَ عن أبيه قال : آخَى رسول الله – ﷺ – بينَ سلمانَ الفارسى وأبى الدَّرْدَاء ، فَزَارَ سلمانُ أبَا الدَّرداء ، فرأى أمَّ الدرداء مُتَبَذِّلَةً (أى تلبس ثيابَ البِذْلة والعمل) ، فقال لها : ما شأنُكِ ؟ قالت : أخُوكَ

---

(١) سورة المائدة ، جزء من الآية : ٨٧ .

(٢) سورة المائدة : ٨٩ .

أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له : كُلْ . قال : إنى صائم . قال : ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال : فأكَل ، فلما كان الليلُ ذهب أبو الدرداء يقومُ ، قال : نَمْ . فنام ، ثم ذهب يقوم فقال : نَمْ ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قُمْ الآنَ ، فصَلَّيا ، فقال له سلمان : إن لربك عليكَ حقًّا ، ولنفسِك عليك حقًّا ، ولأهلِك عليك حقًّا ، فأَعْطِ كلَّ ذى حق حقَّه ، فأتى النبىَّ (أى أتى أبو الدرداء النبىَّ - ﷺ) فذكر ذلك له ، فقال النبى - ﷺ : « صدَق سلمانُ » (١) . وفى رواية الترمذى وابن خزيمة بزيادة : « ولضيفك عليك حقًّا » ، وعند الدارقطنى : « فَصُم وأفطر ، وصَلِّ وَنَمْ ، وَأْتِ أهلَك » .

وما ذلك إلا لأن الدينَ الإسلامى هو دينُ السَّمَاحة والبِر ، دينُ الرحمة ورفع الحرَج ، قال الله - تعالى : ﴿ وما جَعَلَ عليكم فى الدين مِنْ حَرَج ﴾ (٢) ، وقال أيضاً : ﴿ يريد اللهُ بكم اليُسْرَ ولا يريد بكم العُسْر ﴾ (٣) .

٣ - تبتُّل عبد الله بن عمرو :

عن عبد الله بن عمرو ، قال : أنكَحَنِى أبى امرأةً ذاتَ حَسَب ، وكان يَتعاهَدُ كَنَّتَهُ (امرأة ابنه) فيسألها عن بَعْلها (زوجها) فكانت تقول : نِعْمَ الرجل من رجل ، لم يَطَأْ لنا فراشاً ، ولم يُفَتِّش لنا كَنَفاً (أى لم يكشف ساترًا) منذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبى - ﷺ - ، فقال له النبى : « الْقَنِى به » فلقِيته به ، فقال له النبى : « كيفَ تصومُ ؟ » قال : كلَّ يوم ، قال :

---

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة الحج جزء من الآية : ٧٨ .

(٣) سورة البقرة جزء من الآية : ١٨٥ .

« وكيفَ تَخْتِمُ ؟ » (أى القرآن) ، قال : كلَّ ليلة ، فقال له : « صُم فى كل شهر ثلاثةً ، واقرأ القرآنَ فى كل شهر » ، قال : قلت : أطيقُ أكثَرَ من ذلك ، قال : « صم أفضلَ الصوم – صومَ داود – صيام يوم وإفطار يوم ، واقرأ فى كل سَبْعِ ليالٍ مَرَّةً » ، فَلَيْتَنى قَبلْتُ رُخْصَةَ النبى ، وذلك أنِّى كَبِرْتُ وضَعُفْتُ ، فكان يقرأ فى بعض أهله السُّبُعَ من القرآن بالنهار ، والذى يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخَفَّ عليه بالليل ، وإذا أراد أن يَتَقَوَّى أفْطَر أيامًا وأحْصَى ، وصام مثْلَهُنَّ كراهيةَ أن يترك شيئاً فارق النبىَّ – ﷺ – عليه » (١) .

وبناءً على ما سبق إيضاحه وبيانه يستبين لنا أن مقاييس التقوى والخوفِ من الله لا تعنى تكليفَ النفس ما ليس فى الوُسع ، ولا ما ليس فى حدودِ الطاقة البشرية ، كما أنها لا تعنى أيضًا إضَاعَةَ الحقوق المشروعة للنفس ولا لِلْغير ، وإنما تتمثل معاييرُها ومقاييسُها الصحيحةُ فى المدَاوَمَةِ على الطاعة والإقبالِ على العبادة بِحُبٍّ ورَغْبَةٍ تَأْتَلِفُ مع الفطرة ولا تختلفُ معها ، من منطلق قول رسول الله – ﷺ – فيما روته عائشة قالت : « إن النبى – ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال : من هذه ؟ قالت : هذه فلانة ، تذكر من صلاتها ، قال : مَهْ ، عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يملُّ الله حتى تملوا » وكان أحب الدين ما داوم عليه صاحبه (٢) .

وعن أنس قال : دخل النبىُّ المسجدَ فإذا حَبْل ممدود بين الساريتين (أى من سوارىّ المسجد) ، فقال : « ما هذا الحبل ؟ » قالوا : هذا حبل لزينب ، فإذا فترت تعلقت به ، فقال : « حُلُّوه ، لِيُصَلِّ أحدُكم نشَاطَه ، فإذا فَتَر فَلْيَرْقُد » (٣) .

---

(١) رواه البخارى ، وانظر صحيح البخارى بشرح الكرمانى حـ ١٩ ص ٥ – ١٤ .
(٢) متفق عليه .
(٣) متفق عليه .

٤ – عن أبى أمامة قال :

« خرجنا مع رسول الله – ﷺ – فى سَرِيَّةٍ من سراياه ، فمرَّ رجل منا بغارٍ حوله بقْل وماء ، فحدثته نفسُه أن يُقيمَ فى ذلك الغار ، يَقْتَاتُ مما حوله من نبات ، ويُصيبُ ما يحتاج إليه من ماء ، وبذلك يتَخلَّى عن الدنيا ويَخلُصُ من آفاتها ، فمضى إلى رسول الله – ﷺ – يقول له : يانبى الله لقد مررت بغار فيه ما يُمسك علىَّ حياتى من بقل وماء ، وحدثتنى نفسى أن أقيمَ فيه وأتَخلَّى عن الدنيا ، فقال له النبى – ﷺ : لقد بعثنى ربى بالحنيفية السمحة ، لا إصْر فيها ولا حَرَجَ ، والذى نفسى بيده لغدوة فى سبيل الله أو رَوْحَة خير من الدنيا وما فيها ، ولقيام أحدكم فى الصف مجاهدًا فى سبيل الله خير من صلاته ستين سنة » (٣) .

رابعًا : الاعتدال فى المعاشرة حتى لا يَطْغَى واجبٌ على واجب :

إذا كانت الشريعة الإسلامية قد دعت إلى الزواج وحضت عليه ، فإن ذلك لا يعنى بحال من الأحوال أن يعكف المسلم على إشباع تلك الشهوة وقضاء الوطر ، ولا يعنى الانقطاع بجوار الزوجات انقطاعاً يقعده عن معالى الأمور ، وتتعطل بسببه حركة الحياة ، فالاعتدال أمر يساير روح الشريعة ومقرراتها فى كل أمر من أمور الحياة ، ويتضح لنا من أخبار الصحابة والصالحين من عباد الله أن نداءات الواجب كانت تعلو عندهم فوق كل اعتبار ، حتى ولو كان نداء العاطفة ودعوة الغريزة ، ونسوق لك طرفًا من أخبارهم فى هذا الشأن فيما يلى :

١ – حنظلة بن أبى عامر :

تزوَّجَ حنظلةُ زوجتَه « جميلة بنت أُبَىٍّ » وبَنَى بها ليلة الجمعة ، وفى

---

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

الصباح استيقظ ومُنادِى الجهاد يدعو للنَّفِير يومَ غزوة أحد ، فَتَقَلَّد حنظلة سيفه وامتطى جواده ، ولبس درعه ، ثم سار إلى الجهاد ، وقاتل قتال الأبطال حتى استُشهد ، فأخبر النبىُّ أصحَابه قائلًا : « إنى رأيت الملائكة تُغَسِّل حَنْظَلَةَ بين السماء والأرض بماء المُزْن فى صِحَافِ الفِضَّة » [١] .

فأسرع الصحابة إلى حنظلة ينظرون إليه فإذا رأسُه يقطرُ ماءً ، فلما سُئلت زوجته قالت : إنه ما إن سمع هَيْعَة الحرب حتى خرج وهو جُنُب لم يغتسل من جنابته ، ومن أجل هذا غسلته الملائكة .

٢ - أبو خَيْثَمَة :

تخلَّف أبو خيثمةَ عن رسول الله - ﷺ - يوم غزوة تبوك ، وكانت له امرأتان ، فدخل عليهما فى يومٍ حارٍّ ، وقد أعَدَّتْ كُلٌّ منهما خيمتها وطيبتها وَبَرَّدَتْ له الماء ، وهيأت له الطعامَ ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتَيْهِ وما صنَعَتَا له ، ثم قال : رسول الله ﷺ - فى الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظل بارد ، ، وطعام مُهَيَّأ ، وامرأة حسناء ، فى ماله مقيم ؟ ما هذا بالنَّصف !! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله - ﷺ - فهيأتا له زادًا ، ثم قُدِّمَ ناضِحُهُ (أى بعيره) فارتَحَلَه وخرج فى طلب رسول الله حتى أدركه حين نزل تبوك .

خامسا : أُسُسُ اختيار كلٍّ من الزوجين للآخر :

وكما رغَّب الإسلام فى الزواج وحثَّ عليه : ونفَّر من العزوبة وشدَّدَ النَّكِيرَ على المُتَّصِفِين بها ، فإنه لم يترك الأمْرَ على عِلاَّتِه أو عَوَاهِنِه ، وإنما وضع الضَّوابِطَ

---

(١) رواه أحمد والترمذى .

الدَّقِيقَة ، والمعايير السليمة ، التى تضمن للناس – إنْ هُمْ تَمَسَّكوا بها – تكوينَ أُسَرٍ قوية ، متماسكة البنيان ، تكتسب على مَرِّ الأيام صلابةً ومَنَعَةً تعينها على الصمود أمام تيارات الحياة العاتية ، كما يستطيع أفرادُها – فى هذا المناخ الطيب – أن يقدموا للدنيا كلَّ جديد ومُفِيد ، وسنُحَاوِلُ الآن تقديمَ لمحةٍ عن المعايير السليمة والأُسُسِ القويمة التى وضعها الإسلام لاختيار كل من الزوجين للآخر .

(أ) أسس اختيار الزوجة :

مما لا شك فيه أن العوامل التى تدعو إلى رغبة الرجل فى المرأة ، وتُغْرى بالارتباط بها من الكثرة بمكان ، فمنها ما يتعلق بالمرأة ذاتها شكلًا ومضموناً ، ومنها ما يتعلق ببيئتها التى نشأت فى أحضانها وترعْرَعَتْ بين جَنَبَاتها ، كأفراد أسرتها وذوِى قُرْبَاهَا ، ومن يَرْتَادُونَ هذه البيئة كالأصدقاء والخِلاَّن ، وكل واحد من هذه العوامل له دور واضح فى رسم ملامحها العامة وإبراز شخصيتها ، ومع هذا ، فلا ننكر تفاوتَ بعض هذه العوامل فى أهميته على بعض ، وقد أشار النبى – ﷺ – إلى هذه العوامل ، وذلك بحسب الغالب الأعم من طباع الناس ورغباتهم ، فعن أبى هريرة أن النبى – ﷺ – قال : « تُنكحُ المرأةُ لأربع : لمالها ، ولحسَبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فَاظْفَرْ بِذَات الدين تَرِبَتْ يداك » (١) ولا بأس فى أن يحرص راغبُ الزواج على أن تحظَى فَتَاتُهُ بالنصيب الأوفر من تلك المواصفات ، واضعاً نصب عينيه أن أهم هذه المعايير هو معيار الدين ، وأنه بقدر توفيقه لذلك بقدر ما يكون استقراره وسعادة أسرته ، فالتوفيق فى الاختيار أساس طيب يعود بثمار يَانِعَةٍ من البِرِّ والصلة وعدم العقوق ، ورعاية الحقوق ،

---

(١) رواه البخارى .

ونُلمِحُ إلى جانب من أهم هذه العوامل فيما يلي :

١ - البيئة أو الوسط الذى نشأت فيه الفتاة :

إن أولَ ما يَلْفِتُ النظرَ ويَسْترعى الانتباه عند اختيار الزوجة هو البيئة أو الوسط الذى نشأت فيه الفتاة ، وتَرَبَّتْ بين جَنَبَاتِه ، وذلك شيء فِطرى وطبيعى ، ما مدى ارتباط كل منهم بالآخر ؟ .. ماهى أخلاقياتهم بصفة عامة ؟ ماحظ أفراد هذا الوسط من الدين ؟ وماهو مدى اهتمامهم بقضاياه والتمسك بها ؟ ... كل هذه الأسئلة وغيرها كثير يفرض نفسَه على أرض الواقع فى هذه المواطن ، بل ويتطلب إجاباتٍ شافيةً ، وردودًا كافيةً وَوَافِيَةً ، إلى الحد الذى تبدأ فيه هذه العلاقة أولى خُطُوَاتِها ، وقد آثرت ذكر هذا العامل بل وقدمته على غيره ؛ لأن الفردَ يتأثر كثيراً ، بل وتتشكل أخلاقُه وعاداته وأنماط سلوكه بما هو سائد فى بيئته ، سواء أكان ذلك للرفعة أو لِلضَّعة ، وصدق رسول الله - ﷺ - إذ يقول : « تخيروا لِنُطَفِكُم فإن العرق دَسَّاسٌ » (١) ، ويقول أيضًا : « إياكم وخَضْرَاءَ الدِّمن » قالوا : وما خضراءُ الدِّمَنِ يارسول الله ؟ قال : « المرأة الحسنة تنبت فى منابت السوء » (٢) .

فكأن الجمال البدنى للمرأة التى نشأت فى بيئة فاسدة ، ووسط منحرف ، بعيد عن التمسك بقيم الدين وآدابه ، متعلق بأذيال الفضيلة ، لا ينبغى بحال من الأحوال أن يكون محرضاً على الارتباط بها ، بَلْهَ الزَّوَاجَ منها ؛ لأنها والحالةُ هذه قد اكتسبت من بيئتها مرذولَ تلك الصفات ، فهى لهذا لا تصلح رَاعِيَةً لبيت زوجها ، ولا قدوةً صالحة لأبنائها ، ولا أمينة على ما يودعه لديها زوجها من سِرٍّ أو مال أو ولد ، ولا يفوتنا التنبيه إلى أن نكاح الأباعد من الحلائل أَوْلَى

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٣ ص ٤١٦ .

من نكاح الأقارب منهن ، إعمالًا لتوجيه النبى الكريم – الذى يقول فيه : « اغتربوا لا تَضْوَوا » [١] أى : لا تضعفوا .

وق ثبت وراثيًا أنه كلما ازدادت أَوَاصِرُ القربى بين الزوجين أحدَثَ ذلك فى الذُّرِّيَّةِ نوعاً من تراكُم الصفات غيرِ المرغوب فيها كالتَّقَزُّم (قِصَر القامة) والبلَه وما إلى ذلك من العلل والأمراض الخِلْقِيَّة ، ولعل ذلك من أسباب تحريم الزواج بالمحرمات اللائى ذكرن فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ ولا تَنْكِحُوا ما نكح آباؤُكم من النساء إلَّا ماقد سَلَفَ ، إنه كان فاحِشَةً ومَقْتًا وساءَ سبيلاً * حُرِّمَتْ عليكم أُمهاتكم وبناتكم وأخوَاتُكُم وعمَّاتكم وخالاتكم وبناتُ الأخ وبناتُ الأخت وأمهاتكُمُ اللَّاتى أَرْضَعْنَكُمْ وأخَوَاتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللَّاتى فى حُجُوركم من نِسَائِكم اللاتى دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جُناحَ عليكم وحَلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ، وأن تجمعوا الأختين إلَّا ماقد سلف ، إن الله كان غفورًا رحيما ﴾ [٢] .

وفى هذا المعنى يقول الإمامُ ابن الجوزى :

ينبغى للعاقل أن ينظر فى أصول من يخالطه ويعاشره ويشاركه ، ويصادقه ويزوجه أو يتزوج إليه ، ثم ينظر بعد ذلك فى الصورة ، أما الأصول : فإن الشىء يرجع إلى أصله ، وبَعِيدٌ ممن لا أصل له أن يكون فيه معنًى حَسَن ، كالمرأة الحسناء إذا كانت من بيت ردىء ، وكذا أيضاً المخالط والصديق والْمُبَاضِعُ والْمُعَاشِر ، وإياك

---

(١) وهو أثر ثبت معناه عن عمر حيث قال لآل السائب : « قد أضْوَيتم فانكحوا فى النوابغ » « أى الأباعد » فهو من هذه الوجهة حديث مرفوع ، هكذا خرجه العراق فى الأحياء .

(٢) سورة النساء : ٢٢ و ٢٣ .

أن تخالط إلا من له أصل يخاف عليه الدَّنَسَ ، فالغالب السلامة ، وإن وقع خلاف ذلك كان نادرًا [(١)] .

ويقول الدَّهْلَوِى : يستحب أن تكون المرأة من كَوْرَةٍ وقبيلة عاداتُ نسائها صالحة ، فإن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، وعادات القوم ورسومهم غالبة على الإنسان ، وبمنزلة الأمر المجبول عليه ، وقد بين رسول الله - ﷺ - أن نساء قريش خيرُ النساء ؛ لأنهن أَحْنَى على الولد فى صغره ، وأَرْعى للزوج فى ماله ، وهذان الأمران من أعظم مقاصد النكاح ، وبهما انتظام تدبير المنزل .

٢ - أن تكون مُتَدَيِّنَةً :

يجب على مُريد الزواج أن يدرك أن العلاقة الزوجية لا تقتصر على إشباع الغريزة الجنسية ، وتلبيةِ الرغبات المادية الجسدية ، بل إن لها هدفاً أسمى ، وغاية أنبل ، فهى تمتد لإشباع أشواق الروح ، وطموحات النفس ، من نمو الحب والسكينة والأمن والاستقرار ، وكل ذلك لا يتحقق إلا فى رحاب النفوس المؤمنة بالله ، المطمئنة بوعده ، التى تسعى جاهدة ابتغاء مرضاته .

فإذا كان هناك من المعانى والمعايير التى يرغب الناس فى الارتباط بالزوجات على أساسها الشىء الكثير ، كالجمال ، والمال ، والحسب ، والجاه ، والوجاهة بين الناس ، فإن هناك عنصراً هامًّا أَوْلَتْهُ الشريعة الإسلامية جُلَّ اهتمامها ، وحَضَّتْ عليه فى كثيرٍ من تشريعاتها ، لا فى هذا المجال فحسب ، ولكن فى شتى مجالات الحياة ، ألا وهو عنصر الدين . فعلى الخاطب أن يضع هذا العنصر نصب عينيه ، وأن يحرص كل الحرص على توفره فيمن يبتغيها شريكةً لحياته ، وَرَفِيقَةً لدَرْبِه ، وما يتوفر فيها من المُرَغِّبَات الأخرى ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١) انظر موارد الظمآن لدروس الزمان .

وإنما نؤكد على هذا العنصر ونبرز أهميته ؛ لأن العلاقة الزوجية إذا قامت على أىّ مَطْمَع آخر من مطامِع الدنيا فحَسْب فإنها ستتعرض لألوان من الاضطرابات ، والاهتزازات التى لا يعلم إلا اللهُ مداها ، وأحداثُ الزمان خيرُ شاهد على صدق ما نقول ، ولعلك أخى القارئ قد جَالَ بِفِكْرِك وخَطَر على بَالك الآن صُوَرٌ تؤكد ذلك وتُعَضِّدُه ، وفضلاً عن هذا وذاك فقد جاء الحديث الشريف موضحاً تلك القضية ، فقد أخرج ابن ماجه والبزار والبيهقى أن رسول الله – ﷺ – قال : « لا تزَوَّجوا النساءَ لحُسنهن ، فعسى حُسنهن أن يُرْدِيَهُنَّ ، ولا تَزَوَّجُوهُنَّ لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغِيَهُنَّ ، ولكن تزوجوهن على الدين ، ولأَمَةٌ سوداء ذاتُ دين أفْضَل » .

ويقول أيضا : « من تزوج امرأةً لِعِزِّها لم يَزِدْهُ الله إلَّا ذُلّا ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرًا ، ومن تزوجها لحَسَبِها لم يزده الله إلا دَنَاءَةً ، ومن تزوج امرأةً لم يُرِدْ بها إلَّا أنْ يغض بصَرَه ، ويُحَصِّنَ فرجَه ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه » (١) . ويقول : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » (٢) .

ولا يقتصر هذا الشرط على الخطيبة فحسب ، بل إنه ليجب توفره فى الخاطب أيضًا ، بل وتوفره فيه أشَدُّ وآكد ، ألا ترى أنه يصح للمسلم أن يتزوج كتابية ؟ فعلى وَلى الأمر أى يحرص على توفر شرط الدين فى خاطب مَوْلِيَّته (أى من له الولاية فى تزويجها) ، وإلَّا فقد قطع رحمها ، ففى الحديث الصحيح أن رسول الله – ﷺ – قال : « من زوَّج كريمته من شارب خمر فقد قطع رحمها » أى أن ذلك يعرضها غالباً لقطع صلة الرحم ، ويورث النُّفُورَ بين ذَوِى القربى ، وواقع الحياة يؤيدّ ذلك ويؤكده .

---

(١) رواه الطبرانى وابن ماجه .

(٢) رواه مسلم والنسائى .

ومتى توفَّر فى الخاطب الدينُ والخلقُ ، فإن ذلك لَكفِيلٌ بأن يَشْفَعَ له ، وأن يجعله أهلًا للتَّزويج ، فعن أبى حاتم المُزَني عن النبى – ﷺ – قال : « إذا جاءكم من تَرْضَوْنَ دينه وخُلُقَه فأنكِحُوه ، إلَّا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض ، قالوا يارسول الله وإن كان فيه ؟ (أى بأن كان فقيراً و لم يكن من أهل الوجاهة بين الناس) قال : إذا جاءكم من ترضَوْن دينه وخلقه فَأَنْكِحُوه (ثلاث مرات) »[1] .

وآى القرآن الكريم مُتَضَافِرةٌ ومُتَوَافرة فى الحَثِّ على اختيارِ ذات الدين ، يقول الله – تعالى : ﴿ ومن لم يستطع منكم طَوْلًا أن يَنْكِح المحصناتِ المؤمناتِ فمِمَّا ملكت أيمانكم من فَتَياتِكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم ﴾[2] .

• وقال جل ذكره : ﴿ ولا تنكِحُوا المشركاتِ حتى يؤمِنَّ وَلأَمَة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾[3] .

• وقال عز من قائل : « وأنكحوا الأيَامَى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ، إن يكونوا فقراء يُغْنِهِمُ الله من فضله والله واسع عليم »[4] .

• ويقول تقدست أسماؤه : ﴿ عسى رَبُّه إنْ طلَّقَكُنَّ أن يُبْدِلَه أزواجًا خيرًا منكن مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ عابداتٍ سائحاتٍ ثَيِّبَاتٍ وأبكاراً ﴾[5] .

دِقَّةُ النظر فى الاختيار :

يجب أن يكونَ الحكم على مدى تَدَيُّن الفتَى أو الفتاة مبنياً على أسس

---

(١) رواه الترمذى وحسَّنه .

(٢) سورة النساء ، جزء من الآية : ٢٥ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٢١ .

(٤) سورة النور : ٣٢ .

(٥) سورة التحريم : ٥ .

سليمة ، وعلى معايير دقيقه ، لا تقتصر على ظواهر الأمور ، فمعنى التدين أن يكون الإنسان منقادًا لشرع الله ، فعلًا وتركاً ، أمرًا ونهيًا ، حتى لا يُخْدَعَ أحدُ الطرفين بمظهرٍ عابر أو مُصْطَنَعٍ من الطرف الآخر ، وبِخاصة فى هذا الزمن الذى فَسَدَت فيه الطباع ، وقَلَّ فيه الإحساس بالوَازِع الدينى ، وإليك أخى القارئ طرفاً من النماذج التى تُبَرْهِن على صدق ما نقول :

* عن سهْل قال : « مَرَّ رجلٌ على النبى – ﷺ – فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حَرِيٌّ إنْ خَطَب أن يُنكح ، وإنْ شَفع أن يُشَفَّع ، وإنْ قال أن يُستَمَع ، ثم سكت ، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال : ما تقولون فى هذا ؟ قالوا : حَرِيٌّ إن خطب ألا يُنكح ، وإن شَفع ألَّا يُشَفَّع ، وإنْ قال ألا يُستَمَع ، فقال رسول الله – ﷺ –: هذا خيرٌ من مِلْءِ الأرض من هذا » [1] .

* جاء رجل ليشهد لرجل آخر عند عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : أتعرفُ هذا الرجل ؟ (أى قال للشاهد هل تعرف المشهود له ؟) .

فقال : نعم .

قال عمر : هل أنت جاره الذى يعرف مدخله ومَخْرَجَه ؟

قال : لا .

قال عمر : هل صاحبتَه فى السفر الذى تُعرَف به مكارم الأخلاق ؟

قال : لا .

قال عمر : هل عاملته بالدينار والدرهم الذى يُعْرَفُ به وَرَعُ الرجل ؟

---

(١) رواه الترمذى وحسّنه .

قال : لا .

فصاح به عمر : لعلك رأيته قائماً قاعدًا يصلى فى المسجد ، يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى .

قال الرجل : نعم .

فقال له عمر : اذهَبْ فإنك لا تعرفه .

وَالْتَفَتَ إلى المشْهُودِ له وقال له : ائْتِنِي بمن يَعْرِفُك .

تلك هى الموازين الدقيقة التى يُوزَن بها الرجال والنساء ...

فَلْنَضَعْهَا نُصب أعيننا حرصاً على اجتلاب الخَيْر لنا وللناس ...

مَغَبَّةُ التهاون فى توافر هذا الشرط :

إن التهاون فى توافر هذا الشرط عند اختيار الزوجة أو الزوج أمرٌبالغُ الخطورة ، فمغَبَّته تنعكس على بِنَاء الأسرة وتماسُكها ؛ لما فيه من تفويت الفرصة لاقتران المتدينين بعضهم ببعض ، كما أنه فتنة للمتدين عند اقترانه بغيره ، وكل ذلك فضلًا عن المخالفة الدينية المأمور بها فى هذا الموطن .

٣ - النظر إلى الخطيبة :

إن الإسلام يكره الجزَاف فى كل شيء ، ويكره أن يتعاقد الإنسان على شيء لم يَرَهُ ، أو على شيء لا يمكن تقديره أو الحصول عليه ، كالسمك فى الماء ، أو الطير فى الهواء ، أو ما لا وجود له متحقِّق ، كثمرة لم يتم عقدها ، إذا كان ذلك منهج الإسلام فى إبرام الصفقات التجارية ، فما بالك بشركة الزواج التى هى شركة بين روحين ، وعقد على امتزاج نفسين ؟ إن الإسلام قد أولاها عظيم عنايته ، وأحاطها ببالغ رعايته ، ومن ذلك أنه يَحُثُّ الخاطبَ على النظر إلى خطيبته ، على نحو ما تقرره القواعد الفقهية ، فالميل النفسى والرغبة الشخصية

أمور يحترمها الإسلام ؛ لأنها تتمشى مع الفطرة التى فطر الله الناسَ عليها ، فالأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ، ومما يؤيد ذلك أن الصحابى الجليل المغيرةَ بنَ شعبة خطبَ امرأةً ، فقال له النبى – ﷺ : « انْظُرْ إليها ، فإنَّه أَحْرَى أن يُؤْدَمَ بينكما » (١) أى يوفِّق بينكما .

وليس النظر حقًّا للخاطب فقط ، وإنما هو من حقوق الخطيبة أيضًا ، مع ملاحظة أن المأمورَ به والمأذونَ فيه إنما هو النظرُ لا الخلوة ، لا ما تعارفت عليه المجتمعات الحديثة من خروج وسَفَرٍ وخلوة ، وغير ذلك من الأمور التى تأباها الفِطَرُ السليمة ، والنفوسُ المستقيمة ، فضلًا عن قواعد الدين ومقرراته ، وكم حدثت من جراء هذا التَّسَيُّبِ الخلافاتُ وانْتُهِكَتِ الحُرُمَاتُ !! ، وإذا كان الأصل تحريم النظر إلى الأجنبية ، فإن الضرورة فى هذا الموضوع قد أباحته ، والضرورة هنا تتمثل فى إيجاد الاطمئنان النفسى والرغبة الصادقة التى تكفل حياةً زوجية مستقرة ، وعليه فإن الضرورة تقدر بقدرها ، وقد قدَّرها الفقهاء بالقدر الذى لا تجاوز فيه إلى الاطلاع على العورات ، فَيَرَى الإمامُ مالكٌ والشافعىُّ أن النظرَ يقتصرُ على الوجه والكفين ، فى حين يُجيزُ أبو حنيفة النظرَ إلى القدمين كذلك ، أما الإمام أحمد فإنه يرى إباحةَ النظر إلى ما يظهر منها غالبًا كالوجه والرقبة واليد والقدم . وقال الظاهرية : ينظر إلى جميع بدنها (٢) . وإنما اختلفوا فى ذلك لاختلاف النصوص الواردة من السنة فى بيان ذلك .

٤ – استطلاع رأى المرأة فيمن يتقدم لخطبتها :

ينبغى أن يُؤخذ رأى المرأة فى الشخص الذى يتقدم لخِطبتها ، بكراً كانت أو ثيباً ، فالبكر تُستأذن ، وأذنها صُماتها (سكوتها) ؛ لما ينتابها من الخجل

---

(١) انظر المفيد فى الفقه الإسلامى – الزواج ص ١٥ .

(٢) المرجع السابق .

والحياء فلا تستطيع الحديث فى هذا الشأن ، أما الثيب فإنها تُسْتَأْمَرُ (أى يطلب إذنها ورأيها الصريح فى هذا الموطن) ؛ لما لها من خِبْرَةٍ سابقة فى الزواج تُحَتِّمُ إبداءَ رأيها ، ويجب أَلَّا يُصَاحِب استطلاعَ رأى الفتاةِ أىُّ إكْراهٍ بشكل من الأشكال ، أو صورة من الصور ، بل يجب احترامُ عواطِفِها وشعورها ؛ لأنها صاحبةُ المصلحةِ الحقيقيةِ فى هذا الصَّدد ، ومع هذا فلا مانع من مُنَاقَشَةِ رأيها إذا خالفَ رأىَ وليِّها فى الزواج ، لا لشىء إلا لبيان جوانب الخير التى قد لا تَلْحَظُها ، وتزويدُها بالمعلومات الصحيحة التى لا تستطيع الوقوفَ عليها ، فقد جاء رجل إلى رسول الله – ﷺ – فقال : يارسول الله ، عندنا يتيمة خطبها رجلان : مُوسِرٌ (غَنِى) وُمعْسِر (فقير) ، وهى تَهْوَى المُعْسِر ، ونحن نهوى الموسر ، فقال له النبى : « لم يُرَ للمتحابَّين مثل النكاح » [1] . ففى هذه الصورة قد تعارضت آراء الفتاة مع آراء الأولياء ، حول فقر الخطيب ويساره ، وهذا عنصر مرغب فى الزواج ، ولكنه لا يَقْدَحُ فى شخص الخاطب مادامت تهواه ، ولا ينبغى التهوين من شعورها أو ازدراؤه ، فكم تزوجت فتياتٌ من المُوسِرين ومع هذا فلم تستقم لهن حياة ، ولعل من المناسب فى هذا أن نذكر ما حفلت به كتب السيرة والأدب من أن أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان تزوَّج امرأة من أهل البادية اسمها « مَيْسُون بنت بَحْدَل » ونقلها من البادية إلى الحضَر وأسْكَنها قصرًا منيفًا ، وأغْدَقَ عليها النعمة ، ولكنها مع هذا كانت تكثر من الحنين إلى أهلها ، ويستبد بها الوَجْدُ إلى حالتها الأولى ، فقد كان لها ابن عم تَهْوَاه ، ولقد أنشدت قصيدة من الشعر جاء فيها :

لَلُبْسُ عباءَة وتقرُّ عينى ... أَحَبُّ إلىَّ من لبس الشُّفوفِ
لَبَيْتٌ تخفق الأرْيَاح فيه ... أحبُّ إلىَّ من قَصْرٍ منيفِ

---

(١) رواه مسلم .

فلما سمعها معاوية طلَّقها وأَرْجَعَهَا إلى أهلها [١] .

ليس فى رفض الخاطب إساءة له :

لا ينبغى أن يفسِّر الخاطبُ المرفوضُ هذا الرفض من قِبَلِ الفتاة على أنه إهَانة لا تُغْتَفر ، وذنب ليس له من كَفَّارة ، وعار لا تَغْسِله مياهُ البحار ، فيرتكب من الحماقات ماقد يصل إلى حَدِّ القتل أو الانْتِحَار ، فذلك لا يحدث إلَّا فى مجتمعات الهَمَج والرِّعاع ، زعماً منه أنه يَثْأر لنفسه ، وينْتَقِم لكرامته ، مُسْتحِلًّا لنفسه ماحرَّمه على غيره ، من حرية الرأى وحَيْدَةٍ فى الاختيار .

وإليك أخى القارئ النموذجين التاليين :

• النبى يخطب بنت عمه أبى طالب فتعتذر :

حفظت لنا كتب السيرة أن رسول الله - ﷺ - خطب « أمَّ هانئ » بنت عمه أبى طالب ، بعد أن تُوُفِّى عنها زوجُها ، فقالت له : يارسول الله إنى امرأة مُؤْتِمةٌ (أرْعَى وأعول أولادى اليتامى) ، وَبَنِيَّ صغار ، وكان لها أربعة أطفال - وحق الزوج عظيم ، فأخشى إن أَقْبَلْتُ على زوجى أن أضَيِّعَ بعضَ شأن ولدى ، وإن أقبلتُ على ولدى أن أضيِّع حَقَّ زَوْجى ، فقال رسول الله - ﷺ : « إن خيرَ نساءٍ رَكِبْنَ الإبل نساءُ قريش ، أحْنَاهُ على وَلَد فى صِغِره ، وأَرْعَاهُ على بعل فى ذاتِ يده ، ولو علمت أن مريم بْنَةَ عمران ركبت الإبل مافضَّلْتُ عليها أحدًا » [٢] .

فأنت ترى أن الرسول قد أعطى رأيها حُرمة ما بعدها حرمة ، بل وأجَلَّها ،

---

(١) انظر شذور الذهب لابن هشام .

(٢) انظر نظام الأسرة فى الإسلام ص ٦٨ .

وأثنى عليها ، وامْتَدَحَ من أجلها نساء قريش ، ولم يغضب منها ، ولم يَجِد فى نفسه عليها ، وقد اعتذرت عن أن تنال شرف الانضمام إلى زوجاته الشريفات .

• أم كلثوم بنت أبى بكر ترفض عمر :

خطب عمر بن الخطاب أمَّ كلثوم بنت أبى بكر إلَى (من) أُخْتِهَا عائشة - رضى الله عنهم جميعًا - فقالت له عائشة : الأمْرُ إليك .

ثم سألت أختها فَأَبَتْه ، وقالت : لا حاجة لى فيه ، فزجرتها قائلة : أَتَرْغَبِينَ عن أمير المؤمنين ؟ قالت : نعم ، إنه خَشِنُ العيش ، حَدِيدٌ على النساء ، وكرهت عائشة أن تجيبه بالرفض ، فوسَّطت فى الأمر عمرو بن العاص ، يحتال له بِرِفْقِهِ وحُسنِ تدبيره ، فجاء عُمَرَ وفاجأه قائلا : بلغنى خبرٌ أُعِيذُك بالله منه ، قال عمر : ماهو ؟ قال : خطبتَ أم كلثوم بنت أبى بكر ؟ قال : نعم ، أَفَرَغِبْتَ بى عنها ، أم رَغِبْتَ بها عنى ؟ قال : لا واحدة ، ولكنها حَدَثَةٌ (أى صغيرة السن) نشأت تحت كَنَفِ أمير المؤمنين فى لِين ورِفْق ، وفيك غِلْظَة ، ونحن نَهابُكَ ، وما نَقْدِرُ أن نَرُدَّكَ عن خُلُق من أخلاقك ، فكَيْف بها إن خالفَتْكَ فى شىء فَسَطَوْتَ بها ؟ كُنْتَ قد خَلَفْتَ أبا بكر فى وَلَدِ بغير ما يحِقُّ عَلَيْك ، ففهم عمر أن ابن العاص لا يُقْدِمُ على هذه الوساطة بغير مُوَسِّط ، وأن فى الأمر مُمَانَعَةً على نحوٍ من الأَنْحَاء ، فسأله : كيفَ بعائشة وقد كلمتُها ؟ قال : أنالك بها ، وأدلك على خير منها ، أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ، تَعْلَق منها بنَسَبِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم » [1] .

واقتناعى تام بأن فى هذه النماذج وغيرها أبلغُ رد على تصرفات الحمْقى ، وما يضع الأمور فى نصابها الصحيح . ويضع العلاقات الزوجيه فى مكانها المرموق ليحيا المجتمع حياة الاستقرار والعافية .

---

(١) الإسلام دين الرفق ، وزارة الأوقاف ١٩٨٨ .

٥ - تيسير الصداق :

تقول السيدة عائشة : إن النبى - ﷺ - قال : « إن من يُمْن المرأة تَيْسِيرُ خِطْبتها ، وتيسير صداقها ، وتيسير رَحِمِهَا » [١] .

وفى رواية الطبرانى عن عائشة وأقول : « إن من أول شؤمها أن يكثر صداقها » . ولقد ضرب رسول الله القدوة فى هذا المضمار حيث زوج ابنته فاطمة الزهراء للإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - على صداق قدره أربعمائة ، وسبعون درهماً ، كما حرص على تعليم هذه الأخلاق لصحابته الكرام ، فقد زوج بعض الصحابة على ما يحفظه من القرآن الكريم .

روى سهل بن سعد الساعدى أن النبى - ﷺ - جاءته امرأة فقالت : يارسول الله إنى وهبت لك نفسى ، فقامت قيامًا طويلاً ، فقام رجل فقال : يارسول الله زَوِّجْنِيهَا إن لم يكن لك بها حاجة ، فقال له النبى : « هل عندك من شىء تُصْدِقُهَا إيَّاه ؟ » فقال : ما عندى إلا إزارى هذا ، فقال له النبى : « إن أعطيتها إزارَك جلست ولا إزار لك ، فالتمس شيئًا » فقال : ما أجد شيئًا ، فقال : « التمس ولو خاتماً من حديد » فالتمس فلم يجد شيئًا ، فقال له النبى : « هل معك من القرآن شىء ؟ » قال : نعم ، سورة كذا وسورة كذا لِسُوَرٍ يسميها ، فقال له النبى - ﷺ : « زَوَّجْتُكها بما معك من القرآن » [٢] .

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد والحاكم فى المستدرك على شرط الصحيحين .

(٢) متفق عليه .

نماذج للزوجات المثاليات

لكل ما سبق من اعتبارات ومن غيرها استقامت حياة السلف الصالح ومنع الله عنهم وعن بيوتهم شرور الانحلال والانحراف ، وجَنَّبهم وَيْلاتِ العِناد والخلاف ، فكانوا هُداةً مَهْدِيِّينَ ، وجهوا كل طاقاتهم للعمل النافع المفيد ، وتخففوا من الدنيا بقدر المستطاع ، وصرفوا معظم وقتهم فى الطاعة والعبادة ، وعرفوا الدنيا على حقيقتها ، وتعاونوا على البر والتقوى ، وحفظ التاريخ لنا من أخبارهم كل نافع مفيد ، من الصفحات الناصعة البياض ، وكانت الأسرة المسلمة مثالًا يُحتذى ، وكانت مضرب المثل فلكل فرد فيها موقعه الصحيح ، وموقفه الجاد وخلاله النبيلة ، وسجاياه الكريمة ، وإليك أخى القارئ باقة من النساء الفضليات ، اللائى كنَّ مُثُلًا تحتذى كزوجات مثاليات :

١ - فاطمة الزهراء ومِثاليَّة التعاون مع الزوج :

وَرَدَ أنه كان فى بيت الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - خمسُ أنفس : على ، فاطمة ، الحسن ، الحسين ، والحارث (خادمهم) ولم يذوقوا طعامًا فى ليلتهم ، فباتوا على الطَّوَى ، وما إن أصبَحوا حتى دفعت فاطمة رداءَها إلى على ليبيعه كى يقتاتوا بثمنه ، فباعه على بستة دراهم ، وبينما هو فى الطريق إلى بيته ، لقى جماعةً كادَ الجوعُ يقتلهم ، فآثرهم بالستة الدراهم على نفسِه وزوجِه وأولاده ، وأعطاهم إياها ، وما إن تجاوزهم بخطوات حتى أقبل عليه رجل فى يده ناقة فألقى عليه السلام ، ثم قال :

يا أبا الحسن ، ألكَ فى شراء هذه النَّاقة ؟ قال : أجَلْ لو كان معى ثمنُها .

فقال الرجل : خُذْهَا نَسِيئَةً (أى بثمن مؤجل) وَأَدِّ ثمنها حين يفتحُ الله عليك .

قال علي : بكم تبيعُها ؟ قال : بمائة درهم ، فاشتراها عليٌّ وأخذَ بِزِمَامِها وذهب ، فقابله رجل آخر فقال له : أتبيع هذه الناقة يا أبا الحسن ؟ قال : نعم .

قال : بكم اشْتَرَيْتَها ؟ قال : بمائة درهم .

قال : أنا أَشْتَرِيهَا منك بربح ستين درهماً .

فباعها له وقبض الثمن ، ثم ذهب قاصدًا بيته ، فلقيه الرجل الأول ، فقال لعليٍّ : أين الناقة يا أبا الحسن ، قال : بعتها . قال : فأعطنى حقى ، إذًا ، فدفع إليه المائة وبقى معى الستون ، ثم هرول إلى بيته وصبَّ الدراهم فى حجر السيدة فاطمة ، وقص عليها القصة ، قائلا : تاجرتُ مع الله بستة دراهم فأعطانى ستين ، لكل درهم عشرة دراهم .

قالت السيدة فاطمة : لا تأكل من هذا المال حتى تعرض الأمر على رسول الله ، فذهبا إليه وأخبراه القِصَّةَ ، فابْتَسَم صلوات الله وسلامه عليه ، ثم قال : « أَبْشِرْ يا علي ، تاجَرْتَ مع الله فَأَربَحَك ، فالبائع جبريل ، والمشترى ميكائيل ، والناقة مَرْكَبُ فَاطِمَة فى الجنة ، ياعلى أُعْطِيتَ ثلاثاً لم يُعْطها غيرك : لك زوجة سيدةُ أهل الجنة ، وولدان سيِّدا شباب أهل الجنة ، ولك صِهْرٌ هو سيد المرسلين ، فاشكر الله على ما أعطاك ، واحمده فيما أولاك » [١] .

٢ - أم أيمن والتصرف الحكيم :

عن أنس بن مالك قال : « اشتكى ابنٌ لأبى طلحة ، قال : فمات وأبو طلحة خارج ، فلما رأت امرأتُه أنه قد مات هَيَّأت شيئًا (أى من طعام) ، ونَحَّتْهُ (أى ولدها) فى جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسُه وأرجو أن يكون قد استراح ، وظن أبو طلحة أنها

---

(١) انظر وصايا الرسول - ﷺ - جـ ٤ ص ٦٠ ، ٦١ .

صادقة ، قال : فبات فلما أصبح اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أَعْلَمَتْه أنه قد مات ، فَصَلَّى مع النبى ﷺ ثم أخبره بما كان منها (أى من امرأته) فقال رسول الله - ﷺ : « لَعَلَّ اللهَ أن يبارك لكما فى ليلتكما » [1] . قال سفيان : قال رجل من الأنصار : فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن . وفى رواية مسلم : « أنها قالت لزوجها : يا أبا طلحة أرأيت لَوْ أن قومًا أعاروا أهل بيت عاريةً فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا . قالت : فاحْتَسِبْ ابنَك » .

وفى بعض الروايات ما يفيد أن أبا طلحة كان صائماً ، وأنها أرسلت أنسًا فى طلبه وأمرته ألَّا يخبره بوفاة ابنه ، وذلك من كمال حكمتها ، وحُسن عِشْرَتِهَا ، حيث أرادت ألَّا تَفْجَأَهُ بالصَّدمة فَيَتَأَثَّر ، كما أرادت أن تُهيِّىءَ نفسَه للصبر والاحتساب ، والاحتمال ، فوجَّهت إليه سؤالها الذى يفهم منه أن كل نعمة من الله فهى عارية وهبة من الله ، ولابد يوماً أن تُسْتَرَدَّ تلك العوارى .

٣ - زوجة القاضى شريح :

رَوَى الشعبى عن شريح القاضى أنه بنى بامرأة من بنى تميم تدعى زينب ، وهى قصة طويلة ذكرها أستاذنا الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى فى كتابه (أعلام القضاء فى الإسلام) ، ونَجْتَزِىءُ منها بوقائعها بعد أن زُفَّت إلى القاضى شريح ، حيث قال لها بعد أن أُخلى لهما البيت : ياهذه إنَّ من السنة إذا دخلت المرأة مع الرجل أن يُصَلِّىَ ركعتين وتُصَلِّى ركعتين ويسألا الله خَيْرَ ليلتهما ، وَيَتَعَوَّذَا بالله من شَرِّها ، فقمت أصلى ، ثم التفتُّ فإذا هى خَلْفى ، فصليت ثم التفَتُّ فإذا هى على فراشها ، فمددتُ يدى ، فقالت لى على رِسْلِكَ (أى انتظرْ وتمَهْل) .

---

(١) رواه البخارى .

ثم قالت : إن الحمد لله أحمده وأستعينه ، إنى امرأة غريبة ، ولا والله ما سِرْتُ مَسِيرًا قط أشد عَلَىَّ منه ، وأنت رجل غريب ، لا أعرف أخلاقك ، فَحَدِّثْنِى بما تحب فآتيه وما تكره فأنزجر عنه .

فقلت : الحمد لله ، وصلى الله على محمد ، قَدِمْتِ خَيْرَ مَقْدَم ، قَدِمْتِ على أهل دار زوجُك سَيِّدُ رجالهم ، وأنت سيِّدَةُ نسائهم ، أُحِبُّ كذا وأكْرَه كذا ... قالت : أخْبِرْنى عن أَخْتَانِك (أَصْهَارِك) أتُحِبُّ أن يزوروك ؟ فقلت : إنى رجل قاضٍ ، وما أحب أن تَمَلُّونى ، قال : فَبِتُّ بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ . وأَقَمْتُ عندها ثلاثًا ، ثم خرجت إلى مجلس القضاء ، فكنتُ لاَ أَرَى يوماً إلا هو أفضل من الذى قبله .

فلما زارتها والدتها على رأس الحول قالت لى : أبا أمية ، كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة .

قالت : إن المرأة لا تُرَى فى حال أَسْوَأَ خُلقًا منها فى حالين : إذا حَظِيَتْ عند زوجها ، وإذا ولدت غلامًا ، فإن رَابَكَ منها رَيْبٌ فَالسَّوْط ، فإن الرجال والله ما حازت إلى بيوتها شرًّا من الوَرْهَاء المتدللة .

قلت : أشهد أنها ابنتك ، قد كَفَيْتِنَا الرياضة ، وأحسنت الأدبَ .

قال : فكانت فى كل حول تأتينا فتذكر هذا ثم تنصرف .

وهكذا قضى شريح هذه الحياةَ السعيدةَ الهانِئة ، فأفاضت عليه من نعيمها ، وهيَّأت له مجالاً من الراحة النفسية يلجأ فيها إلى التأمل ، فكانت حياة حافلةً بالنظر الصَّائب ، والحُكْمِ العدل ، والقَوْل السَّديد ، فلم تعكر حياته مُنَغِّصَاتُ زَوْجَةٍ حَمْقَاء ، ولم تُؤَرِّقْ لَيْلَه بضجيجها ، ولم تظلم نَفْسَه بانفعالاتها المحمومة وجشعها القاتل ، وقلبها الحقود ، ودينها الناقص .

ويتضح لنا من خلال هذه القصة ، كم تُضْفِى الزوجة الصالحة على البيت سعادة واستقراراً ... ، وقدرة على الإبداع ، حيث كان بيت القاضى شريح جنة وارفة الظلال ، يجد فى رحابه الأمن والهدوء والراحة ، حينما يأوى إليه ليستريح من عناء النهار ، ومتاعب المتخاصمين والمتنازعين ، ولعل ذلك هو السر فى أن القاضى شُرَيْحًا كان مضربَ الأمثال فى قضائه وعدله ، ودقة فكره وصواب رأيه !

تلك باقة من النماذج العملية لما يجب أن تكون عليه الزوجة من مشاركة كريمة لزوجها فى تحمل صُروف الدهر وأعباء الحياة ، ترينا كيف تتحرى المرأة مرضاة الله فى الكسب الذى يطلعها عليه زوجها ، وكيف تتحرى العمل على راحته بكل شكل وبكل وسيلة ، وبخاصة إذا كان منصب الزوج حساسًا ، يحتاج إلى ذهن صاف لكى يبدع كالقاضى وخلافه ، وينبغى على المسلم أن يبرز هذه النواحى المثالية فى محيط أسرته ، لزوجته وأبنائه وبناته ، ويحسّن تلك الصور أمام أعينهم ، لكى تقوم الزوجة بدورها فى التربية والتنشئة الصالحة ، ولكى تقلد البنات أمهاتهن ، ولكى يحرص الأبناء على توفر تلك المواصفات فى زوجاتهم ، وبذلك يتواصل عطاء الأجيال ، فذلك خير للأسر والمربين من العكوف على روايات العبث ، وأفلام الضياع ، وقصص المجون التى تَلْقَى رَوَاجًا بين الناس بما يحيط بها من وسائل الإغراء والترغيب .

(ب) أسس اختيار الزوج :

إن الحقوق التى تثبت للخاطب عند اختيار خطيبته تثبت للخطيبة عند اختيار خطيبها ، وما ذلك إلا ليحدث التوافق النفسى والمعنوى ، وتلتقى الأرواح على المحبة ، فالأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائْتَلَفَ ، وماتَنَاكَر منها اخْتَلَفَ ، ومع هذا فيجب التنبيه على أمر هام ، ألا وهو أن العوامل والمواصفات التى تدعو إلى الرغبة فى الرجل تختلف بطبيعة الحال عن المواصفات التى تدعو إلى الرغبة

فى المرأة ، فإذا كان الجمال شيئًا مرغوبًا فى المرأة ومطلوبًا ، فهناك فى الرجل مرغباتٌ أخرى كالشجاعة والنجدة والمروءة ، ولا شك أن الطباع جدُّ مختلفة فى النظر إلى تلك المزايا ، فما يفضله زيد قد لا يهتم به عبيد ، ومن هنا فلابد للزوجة من النظر إلى خاطبها أو المتقدم لخِطبتها لتتعَرَّف على مجمل أحواله وأخلاقه ، شَرِيُطةَ أن يكون ذلك فى حدود مارسمته الشريعة وقررته ، ولا بأس إذا أبْدَتْ رأيًا مَفَادُهُ الرفض ، ولا يعد ذلك مَنْقَصةَ فيها ما دام ذلك حقُّها ، وقد أشرنا من قبل إلى اعتذار أم هانئ عن الزواج من رسول الله – ﷺ – ورفض أم كلثوم بنت أبى بكر الزواج من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وإنما نركز على هذا الأمر لأن غالب أهل هذا الزمان يَرَوْنَ ذلك أمرًا منكرًا ، مما يترتب عليه أفعال غير حميدة ولا مرضية .

١ – اشتراط كون الخاطب متدينًا :

نؤكد على هذا البند أيضًا كما سبق أن ذكرناه فى أُسس اختيار الزوجة لأهميته ، وحتى لا يفهم البعض أن ذلك الشرط لا ينبغى توافره إلا فى المرأة ؛ ذلك لأن توافره فى الرجل أهم وآكد ؛ لأن بيده العصمة ، وهو المتولى مقاليد أمر الأسرة ، فإذا لم يكن متدينا فإنه يَجُرُّ على الأسرة جميعاً أوخم العواقب ، فلا يتحرج من إطعامهم الحرام ، وعدم تحرى السلوك الفاضل ، وما إلى ذلك من التصرفات الشائنة .

وإنّى سَارِدٌ لك بعضَ الوقائع التى تدل على مدى توفر شرط الدين فى الخاطب ، ومدى تأكيد السلف الصالح عليه ، وذلك فيما يلى :

النموذج الأول : بلال وصهيب يخطبان :

رُوِىَ أن بلالاً الحبشى وصُهَيْبًا الرومى أتيا أَهْلَ بيت من العرب فخطبا إليهم ، فقيل لهما : من أنتما ؟

فقال بلال : أنا بلال ، وهذا أخي صهيب ، كُنَّاضالَّيْن فهدانا الله ، وكنا مملوكين فأعتقنا الله ، وكنا عائلين فأغنانا الله ، فإن تُزَوِّجُونَا فالحمد لله ، وإن تَرُدُّوَنَا فسبحان الله .

فقالوا : بل تُزَوَّجان والحمد لله .

فقال صهيب لبلال : لو ذكرت مَشَاهِدَنا وسَوَابِقَنا مع رسول الله – ﷺ .

فقال له بلال : اسكت فقد صَدَقْتَ فَأَنْكَحَكَ الصِّدْقُ [١] .

النموذج الثاني : سعيد بن المسيب يزوج أبا وداعة :

عن أبي وداعة قال : كنت أجالس سعيد بن المسيب [٢] .

فَفَقَدَنِي أيامًا ، فلما جئته قال : أين كنت ؟ قلت : ماتت زوجتي فاشتغلت بها ، فقال : ألا أخبرتنا فشهدناها ؟! ..

قال : ثم أردت أن أقوم .

فقال : هل اسْتَحْدَثْتَ امرأةً ؟

فقلت : يرحمك الله ، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ؟! ..

فقال : أنا .

فقلت : أَوْ تَفْعَلُ ؟ . قال : نعم .

ثم حمد الله تعالى ، وصلى على النبي ، وزوجني على درهمين أو ثلاثة .

---

(١) انظر إحياء علوم الدين جـ ٤ ص ٧١٤ . طبعة الشعب .

(٢) هو سيد التابعين ، عالم ورع ، أبوه وجده صحابيان جليلان .

قال : فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح ، فصرت إلى منزلى وجعلت أفكر ممن آخذ ؟ وممن أستدين ؟ فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلى واسترحت ، وكنت وحدى صائماً ، فقدَّمت عشائى لأفطر ، وكان خبزاً وزيتًا ، فإذا بآتٍ يقرع ، فقلت : من هذا ؟ قال : سعيد .

قال : ففكرت فى كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم يُرَ منذ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد ، فظننت أنه قد بدَا له (أى رجع عن هذا الزواج) .

فقلت : يا أبا محمد ألا أرسلت إلىَّ فآتيك ؟ فقال : لأنت أحق أن تُؤْتَى .
قال : فقلت فما تأمر ؟

قال : إنك كنت رجلاً عَزَبًا فتزوجت ، فَكَرِهْتُ أن تبيتَ الليلة وحدك ، وهذه امرأتك ، فإذا هى قائمة من خلفه فى طوله ، ثم أخذ بيدها فدفعها بالباب وردَّ الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ... إلى أن قال : فإذا هى من أجمل الناس ، وإذا هى أحفظ الناس لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله - ﷺ - وأعرفهم بحق الزوج .

وكان عبد الملك بن مروان خطبها لابنه الوليد بن عبد الملك حين وَلَّاهُ العهد ، فأبى سعيد بن المسيب أن يزوجه [1] .

٢ - الكفاءة :

وإذا كانت الكفاءة بين الزوجين من أهم أسس استدامة العِشْرَة ، وتكوين الأسرة المسلمة ، فإن العلماء قد اختلفوا فيها على نحو ما نذكره فيما يلى :

---

(١) انظر أخلاق الدعاة إلى الله ، النظرية والتطبيق ، ص ١٦ .

• يقول الإمام القسطلانى – رحمه الله :

(الكفاءة معتبرة فى النكاح ، لما روى عن جابر أنه ﷺ قال : « ألاَ لا يزوجُ النساءَ إلا الأولياءُ ، ولا يُزَوَّجْن من غير الأَكْفَاء » ، ولأن النكاح يعقد للعمر ، ويشتمل على أغراض ومقاصد ، كالازدواج ، والصحبة ، والألفة ، وتأسيس القرابات ، ولا ينتظم ذلك عادة إلا بين الأَكْفَاء ، وقد جزم الإمام مالك – رحمه الله – بأن اعتبار الكفاءة يختص بالدين ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « الناس سواء لا فضل لعربى على عجمى ، إنما الفضل بالتقوى » [١] .

• ويقول القرطبى :

(الكفاءة فى النكاح معتبرة ، واختلف العلماء : هل هى فى الدين والمال والحسب ، أو فى بعض ذلك ؟ والصحيح جواز نكاح الموالى للعربيات والقرشيات ، لقوله تعالى : ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾) [٢] .

والإسلام إذ يُقيمُ الوزنَ الأرجَحَ للكفاءة فى الدين ، لا يمنع عند توفر كفاءة الدين من تحصيل غيرها من الكفاءات المعنوية والمادية ، ففى الدين عِوَضٌ عن كل شىء [٣] .

* * *

---

(١) إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى : ٨ / ١٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٦ / ٣٤٢ .

(٣) انظر اختبار الزوجين ص ٥٣ .



الفصل الثالث

حقوق كل من الزوجين قِبَلَ الآخر

أولا : حقوق الزوجة على زوجها :

يجمُلُ بنا أن نوضح وصية رسول الله - ﷺ - بالنساء فى خطبة حجة الوداع ، التى فيها يقول : « أيها الناس ، إن لنسائكم عليكم حقًّا ، ولكم عليهن حقًّا ، لكم عليهن ألَّا يُوطئن فُرشكم أحدًا تكرهونه ، وعليهن ألَّا يأتين بفاحشة مُبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع ، وتضربوهن ضربًا غير مبرح ، فإن انتهين فأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عندكم عَوَان (أى أسيرات) لا يملكن لأنفسهن شيئًا ، إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيرًا » .

كما أوْصَى النبى - ﷺ بهن خيرًا فى أكثر من موضع ، وفى أكثر من مناسبة ، وبيان هذه الحقوق على النحو التالى :

١ - تعليمها ما تحتاج إليه فى دينها ودنياها :

وقد آثرت البدءَ بذكر هذا الحق لأهميته ، ولانشغال الناس عنه بغيره من الحقوق ، واطِّرَاحِهِمْ له وراءهم ظهريًّا ، حتى أصاب العلاقات الزوجية من الخلل ما أصابها ، فعلى الزوج أن يعلم زوجته ما تحتاج إليه فى دينها كأحكام الطهارة : مثل الغسل من الحيض والنفاس والجنابة والوضوء والتيمم ، والعبادات : كالصلاة

والصيام والزكاة والحج ، وأن يعرفها ماهو فرض ، وماهو واجب ، وماهو سُنة ، ويعلمها ما تحتاج إليه فى علاقاتها مع الناس : من السلام والكلام ، وحدود المخالطة ، وحدود العورة وحكم سترها ، وعدم السفر إلا بنحو مَحْرم أو رُفْقَةٍ مأمونة ، وأن يعلمها حقوق الجيران واليتامى والمساكين ، وما إلى ذلك مما لابد من التنبيه عليه والإرشاد إليه ، ومتابعة تنفيذ ذلك بكل دقة وصدق واقتناع ، وأن يرْفِق بها فى التعلم وفى العمل ، فذلك خير لها فى الأولى والآخرة ، ولا يصح للمرأة أن تتأبى على تعلم هذه الأمور أو مراجعتها بقصد التثبت منها ، بحجة أنها امرأة عصرية مثقفة ، وأن الأخذ بهذه الأمور يخضع للحرية الشخصية ، أو يندرج تحت أى اسم من المسميات الوافدة التى تسللت إلى مجتمع المسلمين فأحدثت فيه بين الفتن ما أحدثت ، ونصوص الشريعة متضافرة ومتوافرة فى بيان هذا الموضوع .

- يقول الله – تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة ﴾ [(١)] .
- يقول رسول الله – ﷺ – : « اللهَ اللهَ فى النساء ، فإنهن أمانات عندكم ، فمن لم يأمر امرأته بالصلاة فقد خان الله ورسوله » [(٢)] .
- يقول الله – تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أهلَكَ بالصلاة واصطبر عليها ﴾ [(٣)] .
- وفى الحديث : « رحم الله رجلًا قال : يا أَهَيْلاَه صلاتَكم ، صيامَكم ، زكاتكم ، مسكينكم ، يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم فى الجنَّة » [(٤)] .

---

(١) سورة التحريم ، جزء من الآية : ٦ .
(٢) انظر عقود اللُّجَيْن فى بيان حقوق الزوجين .
(٣) سورة طه ، جزء من الآية : ١٣٢ .
(٤) عقود اللجين فى بيان حقوق الزوجين .

ولا تعارضَ فى التَّنصِيص على هذه الأمور الدينية مع اشتراط تَدَيُّن الزوجة ، فإنها قد تكون متدينة جملةً لا تفصيلا ، أو إن كانت تعرف هذه الأشياء فيكون تعليمها إذًا من باب المراجعة والتأكيد وإبْرَاء الذِّمة .

٢ - معاشرتها بالمعروف :

ويقصد بذلك حُسن عشرة الزوجة ، بدءاً من الملاطفة والقول الجميل ، ومرورًا بالرعاية والنفقة ، والعدْل فى كل ذلك عند تعدد الزوجات ، فيعدل بينهن فى المبيت والنفقة وسائر المتطلبات ، مع عدم المَيْل والجَوْر ، قال الله تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ (١) .

وقال عز منْ قائل : ﴿ ولهنَّ مثلُ الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ (٢) . ويقول رسول الله - ﷺ - : « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا ، وخياركم خياركم لنسائهم » (٣) . وقال أيضًا : « إن خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيرُكم لأهلى » . وكيف لا يكون الأمر كذلك ، وقد وصف الله - تعالى - عقْد الزواج بأنه ميثاق غليظ : (وأَخَذْنَ منكم ميثاقًا غليظا) (٤) ؟

كما بيَّن الرسول أن الإساءَةَ إلى الزوجة بضَرْبها أمرٌ مَعِيبٌ ، لا يتأتى معه حُسن العشرة ، فيقول : « لا يَجْلدْ أحدُكم امرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْد ، ثم يجامعها آخِرَ النهار » .

٣ - مراعاة شعورها :

يجب على الزوج أن يحترم مشاعر زوجته ، ويحافظَ على شعورها ، وأن

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : ١٩ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٢٨ .

(٣) سورة النساء ، جزء من الآية : ٢١ .

يتصرف معها التصرفَ اللائِقَ ، احتراماً لإنسانيتها ، وصَوْناً لآدميتها ، وأن يعاملَها بسياسة وكياسة ، استبقاءً لوُدها ، وتحريضًا لها على انطلاق ملكاتها الخيِّرة ، وإنى ضاربٌ لك مثالًا من هدى النبوة ، تتضح لنا من خلاله هذه الصورة فى وضوح واضح ، وبيان بيِّن ، وجلاء جَلِىّ :

عن عطاء بن أبى رباح ، قال : انطلقتُ يومًا أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة – رضى الله عنها – فَكَلَّمَتْنَا وبيننا وبينها حجاب فقالت : يا عُبَيْدُ ما يمنعك أن تزورَنا ؟ قال : قولُ رسول الله – ﷺ : « زُرْغِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا » ، قال ابن عمير : فأخبرينا بأعجبِ شيء رَأَيْتِهِ من رسول الله – ﷺ – ، قال : فَبَكَتْ ، وقالت : كل أمره كان عجبًا ، أتانى فى ليلة حتى مسَّ جلدُه جلدى ، ثم قال : ذَرِينِى أَتَعَبَّدْ لِرَبِّى – عز وجل – فقام إلى القربة فتوضأ منها ، ثم قام يصلى ، فبكى حتى بلَّ لحيته ، ثم سجد حتى بلَّ الأرضَ ، ثم اضطجع على جنبه ، حتى أتى بلالٌ يؤذن بصلاة الصبح ، فقال : يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! فقال : وَيْحَكَ يا بلال ، وما يمنعنى أن أبكى وقد أنزل الله علىَّ فى هذه الليلة : ﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ (1) ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها » (2) . وغاية التفكر فيهن أن يقرأَهُنَّ ويعقلهن ، كما حكى الأوزاعى .

فأنت ترى أن النبى – ﷺ – حينما أراد أن يقوم للعبادة بعد أن أَنِسَتْ إليه زوجته ، ومس جلْدُه الشريف جلدَها لم يتركها بغتة ، ولم يتجاهل عواطفها ، وإنما استأذنها : « ذرينى أتعبد لربى » .

---

(1) سورة آل عمران : ١٩٠ .

(2) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب التفكر .

٤ – عدم إفْشَاءِ سِرِّهَا :

فقد قدَّس الرسولُ أسرارَ الزوجية ، واحترمَ أسرارَ الزوجة فى علاقتها برجلها ، فَشَدَّدَ النَّكِيرَ على من يُفْشِى شيئًا من هذه الأسرار فقال : « إن من أشَرِّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، الرجلُ يُفْضَى إلى المرأة وتُفْضِى إليه ثم ينشر سرَّها » [١] .

وفى حديث آخر : « إنما ذلك مثل شيطانة لَقِيَتْ شَيْطَانًا فى السِّكَّة فَقَضَى منها حاجَتَه والناس ينظرون إليه » [٢] .

٥ – الوفاء لها :

لقد حضَّت الشريعة على وفاء الزوج لزوجته ، كما طالعتنا السيرة العطِرة بصُوَر وضيئة لوفاء رسول الله – ﷺ – فى هذا المجال فقد روت السيدة عائشة – رضى الله عنها – أن عجوزاً جاءت إلى النبى ، فقال لها : من أنت ؟ فقالت : جُثَامَةُ المُزَنِيَّة ، قال : أنت حَسَّانَة ، كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبى أنت وأمى . فلما خرجت قلتُ (أى عائشة) : يارسول الله لِمَ تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ؟ قال : إنها كانت تأتينا زَمَنَ خديجة ، وإن حُسْنَ العهد من الإيمان ، قالت عائشة : ما غِرْتُ على أحدٍ من نساء النبى ما غرتُ على خديجة ، وما رأيتها قط ، ولكن كان الرسول – ﷺ – يكثر ذِكْرَها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أجزاءً ، أو أعضاءً ، ثم يبعثها فى صدائق خديجة ، وربما قلت له ، كأن لم يكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ؟ فيقول :

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) رواه أحمد وأبو داود من حديث أبى هريرة .

إنْ كانت وكانت ، وكان لى منها ولد ، خير نسائها مريم بنة عمران ، خير نسائها خديجة ، وأشار إلى السماء والأرض .

فعلى المرأة إذا أرادت أن تحظى بهذا الود ، وتتبوأ هذه المكانة ، أن تحسن عشرة زوجها ، وأن تقوم بواجبه على نحو ما أوجبه الشرع القويم .

تلكَ شَذَرَاتٌ من هَدْى الإسلام نحو ما أوجَبه الله – تعالى – للزوجة على زوجها ، ولما بينه من عظيم حرمتها ؛ ذلك لأن أولَ ما يُسْأَلُ عنه الرجل يوم القيامة الصلاة ثم زَوْجَاتِه ، فمن ظلم زوجته أو غَبَنَها فقد أسَاءَ وأخْطَأَ ، وعرَّضَ نفسه لطائلة مُؤَاخَذَةِ الله . ﴿ ومَنْ أَوْفَى بما عاهد عليهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أجْرًا عظيمًا ﴾ [1] .

* * *



(١) سورة الفتح ، جزء من الآية : ١٠ .

ثانياً : حقوق الزوج على زوجته :

وكما أوجب الإسلام للمرأة حقوقًا على زوجها ، فقد أوجب للزوج حقوقًا على زوجته ، لكى يستقيم أمر الأسرة ، وتعطى أطيب الثمرات ، ومما لا شك فيه أن واجبات كل من الزوجين تتناسب مع طبيعته وفطرته التى فَطَرَهُ الله عليها ، وأى خروج على ذلك يعتبر سبيلًا من سُبل هدم الأسرة واستقرارها ، وسنذكر جانبًا من حقوق الزوج على زوجته فيما يلى :

١ - القوامة :

ولقد اقْتَضَتْ حكمة الله - تعالى - أن يكون زِمَامُ أَمْرِ الأسْرةِ فى يد الرجل ، لما حَبَاه الله به من قوة وجَلَد ، وقدرة على السعى فى الأرض ، والقِوَامَةُ تعنى إسْنَادَ إدارة الأسرة وتصْريف شئونها وتوجيه أفرادها إلى كل ما يحقق لهم الخير فى الدنيا والآخرة إلى رب الأسرة وهو الزوج ، فهى بهذا المفهوم إلزام للرجل بالكَدْحِ ، وَدَفْعٌ له إلى العمل والكفاح ، وهى أيضًا تكليف وأعباء ، وهى مع هذا تُسَاوِقُ الفطرة وتأتلف معها ، يقول الله تعالى : ﴿ الرجال قَوَّامُوَن على النساء بما فَضَّلَ الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ [١] ، ويقول عز من قائل : ﴿ ولهُنَّ مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ﴾ [٢] .

فذلك حق طبيعى للرجل السَّوِىّ ، وليس فيه أوفى شائبة تسَلُّط أو عَسْفٍ أو افْتِيَات على حق المرأة وكرامتها ، فليس الأَمْرُ سوى تحديدٍ للمسئوليات ، تكليف للقادر ، وإعفاءٌ للضعيف من تحمل الجهد ، وعناء الحياة الشاق .

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : ٣٤ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٢٨ .

بل إن التفريط فى هذا الحق من جانب الرجل ، وجَعْلِ الزوجة تتصرف كما يَحْلُولها بدون ضابط أو رابط ، أمرٌ يستوجب اللعنة ، ويمحق بركةَ الأرزاق ، عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « يكون فى آخر أمتى رجال يركبون على سُرُج كأشباه الرجال ، ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات ، على رءوسهن كَأَسْنِمَةِ (جمع سِنام) البُخُت العِجَاف ، الْعَنُوهُنَّ فإنهن ملعونات ، لو كان وراءكم أمّة من الأمم خدمتهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم » [1] .

٢ – الطاعة المطلقة فى غير معصية الله :

لقد أوجب الله طاعة الزوج على زوجته ، فى كل ماليس فيه معصية الله أو مخالفةٌ دِينِيَّةٌ ، كِفعل منكر أو تَرْكٍ عبادة ، قال رسول الله – ﷺ – : « لا طاعَةَ لمخلوق فى معصية الخالق » والأحاديث الدالة على طاعة المرأة لزوجها متوافرة نذكر منها مايلى :

- عن عبد الله بن أَبِى أَوْفَى قال : « لما قَدِمَ معاذُ بنُ جبل من الشام سجَد للنبى – ﷺ – فقال له رسول الله : ماهذا ؟ قال : يارسول الله قَدِمْتُ الشام فوجدتهم يسجدون لبطارِقَتِهم وأساقِفِهم ، فأَرَدْتُ أن أفعلَ ذلكَ بِكَ . قال : فلا تفعل ، فإنى لو أمرت أحدًا أن يسجدَ لأحد لأمرت المرأةَ أن تسجدَ لزوجها ، والذى نفسى بيده لا تُؤَدِّى المرأةُ حَقَّ ربهاً حتى تُؤَدِّىَ حَقَّ زوجها » [2] .

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم واللفظ للأول .

(٢) رواه أبو داود .

• عن عائشة قالت : سألت رسول الله - ﷺ - أىُّ الناسِ أعْظَمُ حقًّا على المرأة ؟

قال : زوجُها . قلت : فَأَىُّ الناس أعظمُ حقًّا على الرجل ؟ قال : أمه » (١) .

• روت أم سلمة أن رسول الله - ﷺ - قال : « أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » (٢) .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إذا صَلَّتِ المرأةُ خَمْسَهَا ، وحَصَّنَتْ فَرْجَهَا ، وأطاعت بَعْلَهَا ، دخلت الجنة من أى الأبواب شاءت » (٣) .

٣ - حُسن التَّبعُّل :

فعلى المرأة المطيعة لزوجها أن تكونَ مُرْهَفَةَ الحِسِّ فى حَضْرَةِ زَوْجِهَا ، تطلب مَرْضَاتِه ، وتُوَفِّر له القسط الأكبر من الراحة والقَرَار فى البيت ، ويكون ذلك بأن تسكت عند كلامه فى غير إعراض عنه أو عدم مبالاة به ، تُدَاوِمُ على الزينة بحضرته ، وتتركها فى غيبته ، تعرض نفسها له عند النوم ، كل ذلك فى غير تكلف ، فإنها إن فعلت ذلك وداومت عليه بحيث أصبح لها خُلُقًا وسَجِيَّة فإنها ستَكْسِبُ مرضاته ، وفى ذلك طريقها إلى الجنة مع إتيانها بقية المأمورات وتجنب المنهيات .

---

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه .

(٣) رواه ابن حبان .

ومن الآثار والأخبار الدالة على ثواب حسن التبعل ما نذكره فيما يلى :

• روى الإمام مسلم فى صحيحه أن أسماءَ بنتَ يزيد بن السَّكَنّ الأنْصَارية – خطيبةَ النساء – أتت إلى النبى – ﷺ – وهو بين أصحابه فقالت : بِأبى أنت وأمى يارسول الله ، أنا وَافِدَةُ النساء إليك ، إن الله بعثك بالحق للرجال والنساء كافَّةً فآمَنَّا بك واتَّبَعْنَاك ، وإنا – معشرَ النساء – محصورات قواعد بيوتكم ، وحاملات أولادكم ، وإنكم معشرَ الرجال فُضِّلْتُمْ علينا بالجُمَع والجماعات ، وعيادة المرضى ، وشهود الجنائز ، والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد فى سبيل الله – عز وجل – وإن أحدكم إذا خرج حاجًّا أو معتمراً أو مجاهدًا حَفِظْنَا لكم أموالكم ، وغَزَلْنَا أثوابَكم ، ورَبَّيْنَا لكم أولادَكم ، أَفَنُشَارِكُكُم فى هذا الأجر ؟ فالْتَفَتَ النبىُّ – ﷺ – بوجهه كله إلى أصحابه ثم قال : أَسَمِعْتُم مسْأَلَةَ امرأةٍ قط أحسنَ من مسألتها فى أمر دينها من هذه ؟ فقالوا : يارسول الله ماظننَّا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا ، فالتفت النبى إليها ثم قال : « اِفْهَمِى أيتها المرأة وأَعْلِمى مَنْ خلفَكِ من النساء أن حسنَ تبعل المرأة لزوجها وطلبَها لمرضاته ، واتباعها موافقته ، يَعْدِلُ ذلك كلَّه » .

فانصرفت وهى تُهَلِّل ، حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب ، وعرضت عليهن ماقاله رسول الله – ﷺ – فَفَرِحْنَ .

• روى البخارى فى صحيحه عن أسماء بنت أبى بكر الصديق – رضى الله عنهما – قالت : « تزوجتُ الزبيرَ (أى ابن العوام) ، ومالَه فى الأرض من مال ولا مملوك ولا شىء غير نَاضِح (جمل يستقى عليه الماء) وغير فرسة ، فكنت أعلف فرسه وأستقى الماء وأَخْرِزُ غَرْبَه وأَعْجِن ، ولم أكن أُحْسِنُ أَخْبِزُ ، فكان يخبز جارات لى من الأنصار ، وكُنَّ نِسْوَةَ صِدْق ، وكنتُ أَنقلُ النَّوَى من أرض الزبير – التى أقطعه رسول الله – ﷺ – على رأسى ، وهى مِنِّى

على ثلث فرسخ ، فجئت يوماً والنوى على رأسي ، فلقيتُ رسول الله – ﷺ – ومعه نفر من الأنصار ، فدعاني ، ثم قال : إخ إخ (ليبرك البعير على الأرض فأركبَ) ، ليحملني خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال ، وذكرت الزبير وغيرته – وكان أغْيَرَ الناس – فعرف رسول الله أني قد استَحْيَيْتُ ، فمضى ، فجئت الزبيرَ فقلت : لَقِيَنِي رسول الله وعلى رأسي النَّوَى ومعه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب ، فاستحييتُ منه وَعَرَفْتُ غَيْرَتَك ، فقال : والله لَحَمْلُكِ النَّوَى كان أشدَّ عَلَيَّ من ركوبك معه .

قالت : حتى أرسَلَ إلَيَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس ، فكَأَنَّما أعْتَقَنِي .

- روى الأصْمَعِيُّ قال : دخلت الباديةَ ، فإذا أنا بامرأة من أحسن الناس وجهًا تحت رجل من أقبح الناس وجهًا ؛ فقلت لها : ياهذه ، أتَرْضَيْنَ أن تكوني تحتَ مِثله ؟ فقالت : ياهذا ، اسْكُتْ ، فقد أسَأْتَ في قولك ، لَعَلَّه أحْسَنَ فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ، أو لَعَلِّي أسَأْتُ فيما بيني وبين خالقي فجعله عقُوبتِي ، أفَلاَ ترضى بمارَضِيَ الله لي ؟ فأَسْكَتَتْنِي [(١)] .

التعليق على هذه الآثار :

نحن نرى أن النبي – ﷺ – أخبر أسماء بنت يزيد بأن حسن تبعل المرأة لزوجها له فضل عظيم ، حيث يعدل ثواب حضور الصلاة في جماعة وحضور صلاة الجمعة وعيادة المريض وشهود الجنائز ، والمداومة على الحج والجهاد في سبيل الله بالنسبة للرجال فانفرجت أساريرها وأبلغت النساء بما سمعته من رسول الله – ﷺ – فَسُرِرْنَ بذلك .

---

(١) إحياء علوم الدين ٤/٥٧١ الشعب .

أما ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر ، زوج الزبير بن العوام ، فقد كانت مثلا يُحْتَذَى فى مختلف أدوار حياتها (أُمًّا وزوجة وبنتًا) ، وكان زوجها الزبير شديد الغيرة عليها ، وأدركت منه هذا الشعور ، فلم تَسْتَغِلَّهُ ضِدَّه – كما يفعل من لا خلاق لهنَّ – بل إنها لم تَدَّخِرْ وُسْعاً فى المحافظة على شعوره هذا ، وأبعد من هذا ، فقد كانت تعاونه فى عمل الحقل وسياسة فرسه ، وبلغ من احترام شعوره أنها استَحْيَتْ أن تركب خَلْفَ النبى – ﷺ – بما معها من نوى ؛ لأنها تذكرت غيرة زوجها ، ولم يكن فى ركوبها خلف النبى مخالفة ، فقد كان مَحْرَماً لها فى ذلك الوقت ؛ لأنه زوج أختها عائشة رضى الله عنها .

وفى النص الثالث نجد الزوجة الجميلة لا تثور على دَمَامَةِ زوجها ، ولم تبغ الخلاصَ منه ، وإنما حَلَّلَتْ موقفها تحليلَ المؤمناتِ الصادقاتِ ، وأنه قَدَرُ الله وهى به راضية !!

٤ – أن تكون أمينة على عرضه وماله :

ويقتضى ذلك ألا تخونه فى فراشه ، فلا تُدْخِلُ أحدًا من الرجال حالَ غيابه فى بيته أو فراشه ، مهما كانت الدواعى والدوافع ؛ لأن ذلك يُوغِرُ صَدْرَ الزوج ، وَيَجُرُّ على البيوت المهالكَ والويلاتِ ، ونَاهِيكَ عن دخول الأصدقاء ، وما يترتب عليه من مفاسد ، طَفَحَتْ بها أخبار الحوادِث ، وخَرِبَتْ بسببها البيوتُ ، وشُرِّدَ الأطفال ، ومن خطبة النبى – ﷺ – فى حجة الوداع : « ألا إن لكم على نسائكم حقًّا ، ولنسائكم عليكم حقًّا ، فحقكم عليهن أن لا يُوطِئْنَ فُرُشكم مَنْ تكرهون ، ولا يأْذَنَّ فى بيوتكم لمن تكرهون » .

وقد روى الحاكم أن رسول الله – ﷺ – قال : « لا يحِل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن فى بيت زوجها وهو كاره ، ولا تخرج وهو كارِه ، ولا تطيع فيه أحدًا ، ولا تَعْتزِل فِرَاشَه ولا تضربه ، فإن كان هو أظلم فلتأته حتى تُرضِيهُ ،

عن الأصالة والإيمان الصادق والإخلاص ، وأحوج ما يكون الإنسان إلى الوفاء عند الأزمات ، والزوجة الوفية هى التى تدرك ذلك المعنى ، فتؤثر راحة زوجها على راحة نفسها ، وحتى تتضح لنا قيمة وفاء الزوجة لزوجها فسنذكر جانباً من الوفاء فيما يلى :

• شكا أعرابى من بنى عذرة إلى معاوية بن أبى سفيان عاملَه مروان بن الحكم ، وذلك لرغبته فى التفريق بين العذرى وزوجته رغماً عنها لفقر نزل بزوجها بعد عِزّ ، ولرغبة مروان فى أن يتزوج منها لجمالها ، فلما حضرت أمام معاوية قال لزوجها مَازِحًا : نُخَيِّرُها بيننا . فقال الزوج الواثق من مشاعر زوجته : ذلك إليك يا أمير المؤمنين . فقال لها معاوية : يا سُعْدى ، أينا أحب إليك : أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وقصوره ، أم مروان بن الحكم فى غَضَبه واعتدائه ، أم هذا الأعرابى (زوجها) فى جُوعه وأُطْمَاره (ثيابه البالية) ؟ .

فأشارت الجارية إلى ابن عمها وزوجِها الأعرابى وأنشدت تقول :

هذا وإن كان فى جوع وأطمارِ
أَعَزُّ عِنْديَ من أهلى ومن جارى
وصاحبِ التاجِ أو مروانَ عامِلِه
وكلِّ ذى درهم منهم ودينـارِ

ثم قالت : لستُ والله يا أمير المؤمنين لِحَدَثَان الدهر بِخَاذِلَتِه ، ولقد كانت لى معيشة راضية ، وأنا أحق من صبر معه على الضراء والسراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القسم الذى كتب الله لى معه . فأعجب معاوية بعقلها وكا لها ومروءتها ، وأمر لها بعشرة آلاف درهم ، وألحقها بصدقات بيت مال المسلمين » [1] .

---

(١) انظر نظام الأسرة فى الإسلام ص ١٣٣ .

فإن قَبِلَ منها فبها ونِعْمَتْ وقَبِلَ الله عذرها ، وأفلح حُجَّتها ولا إثم عليها ، وإن هو لم يرْض فقد أبلغت عند الله عذرها » وهو حديث صحيح الإسناد .

ومن الأمانة ألَّا تخونه فى ماله ، فلا تتصرف فى شىء منه بغير إذنه ، فإن أطعَمَتْ من ماله برضاه كان لها مثلُ أجره ، وإن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر وعليها الوِزْر .

٥ – رؤيتها القليلَ منه كثيرًا :

على المرأة أن ترى القليل من زوجها كثيرًا ، وأن تقابل فعله بالشكر ، وأن ترى حاله بالفضل ، وألا تقول له مقالة الجاهلات : ما رأيتُ منك خيرًا قط ، أو شيئًا من هذا القبيل ، فعن طلحة بن عبيد الله قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : « أيما امرأة قالت لزوجها مارأيت منك خيرًا قطُّ إلا آيَسَهَا الله من رحمته يوم القيامة » .

وقال رسول الله أيضًا : « إن الله لا ينظر إلى امرأة لا تشكر زوجها » .

٦ – إكرام أهل الزوج :

أوجب الله للزوج على زوجته أن تكرمَ أهله ، وتَلْقَاهُم بالوُدِّ والترحَاب ، وأن تبذل لهم الخيرَ والفضلَ ، وألَّا تَعْبَسَ فى وجوههم ، فكل ذلك يجلب رضاءَهم ، ويبقى حَبْلَ وُدِّها بزوجها متصلًا ، الأمر الذى يعود عليها بالخير والبركة .

٧ – الوفاء للزوج :

إذا كان الإسلام قد أوجب على الزوج أن يكون وفيًّا لزوجته فإنه قد أوجب عليها أن تكون وفيَّةً له أيضًا ، وما ذاك إلا لأن الوفاء خلق جميل ، ينم

• رفع ولىُّ أمر زوجةٍ على زوج ابنته دعوى يطالبه فيها بخمسمائة درهم قيمة صداق ابنته ، وفى مجلس القضاء طلب القاضى الشهود ، فلما حضروا قال القاضى للمرأة : أسْفِرِى عن وجهك (أى اكشفى عنه) ليراك الشاهد ويشير إليكِ بأنك صاحبة الحق .

فقال الزوج : والله لا يرى وجهها أجنبى . أنا مقرٌّ بالدعوى بلا حاجة إلى شهود .

وقالت المرأة : صدق أبى ، ولكنى أُبَرِّئُ زوجى من صداق الذى فى رقبته فى الدنيا والآخرة .

فقال القاضى : يكتب هذا فى مكارم الأخلاق [1] .

* * *

(١) المرجع السابق .

ثالثاً : نصوص تؤكد حق الزوج على زوجته :

• عن أبى هريرة قال : « جاءت امرأة إلى رسول الله - ﷺ - فقالت : أنا فلانة بنت فلان ، قال : قد عرفتُك ، فما حاجتك ؟ قالت : حاجتى إلى ابن عمى فلان العابد ، قال : لقد عرفته ، قالت : يخطبنى ، فأخْبِرْنِى ماحقُّ الزوج على الزوجة ،فإن كان شيئاً أطيقه تزوجته ، قال : من حقه أن لوسال منخراه دمًا وقيحاً فَلَحَسَتْهُ بلسانها ما أدت حقه ، لو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فَضَّله الله عليها . قالت : والذى بعثك بالحق لا أتزوج مابَقِيَتْ الدنيا » (١) .

• عن حُصَيْن بن مُحْصِين أن عمةً له أتت النبى - ﷺ - فقال لها : « أذاتُ زوج أنتِ ؟ قالت : نعم . قال : فأين أنتِ منه ؟ قالت : ما آلوه إلا ما عجزتُ عنه ، قال : فكيف أنت له ، فإنه جنتك ونارك » ؟ (٢) .

• عن ابن عباس ، عن النبى - ﷺ - قال : « ثلاثة لا تُرفع صلاتُهم فوق رءوسهم شبرًا : رجلٌ أَمَّ قومًا وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان منصرمان (منقطعان) » (٣) .

* * *

---

(١) رواه البزار والحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٢) رواه أحمد والنسائى بإسْنَادَيْن جيدين ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

(٣) رواه ابن حبان وابن ماجه،واللفظ لابن ماجه .

رابعًا : المرأة المسلمة بين التحلل والالتزام :

يحق لنا فى نهاية هذا الفصل أن نُزَيِّنَ جِيدَه بمُوَازَنَةٍ يتضح من خلالها قيمة التزام المرأة بمنهج الشرع ومقرراته ، وأن التحلل من هذه العُرَا يؤدى إلى أوخم العواقب على المستوى الجماعى والفردى ، فإن الله الذى خلق المرأة والرجل قد قرن بينهما فى كل شئون الحياة وتكاليفها ، وجعل لكل منهما مسئولية تضاهى مسؤلية الآخر فى أعبائها وتضحياتها ، فَلِكُلٍّ دوره الواضح المحدد الذى رسمه الخَلَّاق العليم .

وإذا كانت المرأة المسلمة قد حققت الرِّيَادَةَ والقيادة فى شتى مجالات الحياة بالتزامها وطاعتها حتى أصبحت فى جبين الدهر شامة ، فما ذاك إلا لأنها شَبَّت فى أحضان شريعة سمحة حَانِيَةٍ ، وسِعَتْ فيها رحمةُ رَبِّنَا كلَّ شىء ، وسَمِعَتْ قولَ رسول الله – ﷺ : « نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء عن التفقه فى الدين » كما أُصْغَتْ لقول ربها : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ [(١)] .

أصل البلاء :

إن أصل البلاء ، وسبب الشقاء ، هو المحاولات المستميتة لأعداء المسلمين من المستشرقين والمستغربين ، ومَن لفَّ لفَّهم ، ودار فى فلكهم ، بِبَثِّ الأفكارِ المدمرة ، التى تفك العُرَا ، وتوهن الذُّرَا ، من نحو مساواة المرأة بالرجل ، وإيهام المرأة بأن قوامة الرجل عليها لا تعدو أن تكون لونًا من التسلط والعَسْف ، وأن هذا إن صح فى عهد الحريم ، فإنه لا يصح ولا يجوز مع المرأة فى العصر الحديث ، كما رَوَّجُوا لهذه المقولات وتلك الشائعات بشتى الوسائل وبمختلف

---

(١) سورة الحج ، جزء من الآية : ٧٨ .

الطرق ، كأجهزة الإعلام المختلفة ، كما ألبسوا هذه الشائعات أَقْنِعَةً زَائِفَةً ، أطلقوا عليها الحرية والمدنية ، وأعانهم على ذلك إِخْوَةٌ لَنَا من بَنِى جِلْدَتِنَا ، ذهبوا إلى ديارهم فَشَكَّلُوهم حسب أهوائهم ، وأعادوهم لنا معاوِلَ هَدْمٍ فأحدثوا فى القيم ما أحدثوا ! . وَيَاشَرَّ ما أحدثوا ! .

أحدثوا لدى النَّاشئة – شبابًا وفتياتٍ – أنواعًا شتى من انفصام الشخصية ، وأَوْغَرُوا صدور النساء على الرجال ، وصدور الرجال على النساء ، وعمقوا فى نفوس النساء مفهوم النِّدِّيَّة بمعناها البغيض للرجل ، فاهتزت القيم ، وساد التطلع ، وسرت السلبية واللامبالاة ، وهكذا أذكى المغرضون نار هذه المعركة الكلامية ، ناسين حيناً ، ومتناسين فى معظم الأحيان ، أن المرأة إنما وجَدَتْ ذَاتَها ، وتعرَّفَتْ على هَوِيَّتِها ، ومارَسَتْ دَوْرَها المطلوب ، وأصبح لها كيانها المصُون فى رحاب شريعة الإسلام السمحة .

ولكى تتضح الصورة فإليك هذه الطائفة من المقارنات :

● إذا كانت المرأة العصرية فى ظل هذه المبادئ الهدامة – إلا من رحم الله – قد أصبحت تجيد حفظ أغانى الحب والغرام ، وتكتوى علناً بنار الوجد والهيام ، وتُرى صاعدةً هابطةً على ما شيدوه لها من سلم موسيقى ، مَأْزُورَةً غَيْرَ مأجورة ، تغتالها الشياطين من بين يديها ومن خلفها .

● وإذا كانت المرأة العصرية فى ظل هذا التحلل ، تقضى ردحًا طويلًا من ليلها إما فى المسرح أو فى دار الخيالة (السينما) سافرة متبرجة ، مختلطة مع الرجال ، ساهيةً لاهيةً ، تَهْدِرُ وَقْتَهَا مع الزيف والخداع ، مع أحداث تلبس للواقع ألف قناع وقناع ، لا ترعى للحقوق حرمة ، ولا ترقب فى أهلها إلاًّ ولا ذمة .

فإن المرأة المسلمة الملتزمة كان واقعها على النحو التالى :

• حَفِظَتْ كتابَ ربها وَرَتَّلَتْهُ ترتيلا ، حفظت حدوده قبل أن تحفظ حروفه ، رتلته فى خلواتها وجلواتها ، مأجورة غير مأزورة ، كل حرف بحسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، وحفَّتها ملائكة السماء بالخير والرحمة والبركة .

• قطعت ليلها – فضلًا عن نهارها – فى بيتها ، خادمة لزوجها وأولادها ، قائمة قانتة ، وبيتها خير لها ، أمضت نهارها فى المسرح الكبير – مسرح الحياة – عارفة دورها فيه ، مؤدية له خير الأداء ، وعلى أحسن ما يكون ، أداءً حقيقيًا ، مجردًا عن أى قناع ، مبَّرأ من أى خداع ، ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ﴾ (١) .

• تراءت أمام عينها الدار الآخرة ، وما أدراك ما الدار الآخرة !! .. ﴿ وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ (٢) . شغلتها مناظر الجنة التى تأخذ بالألباب ... شغلتها مناظر الأنهار والقصور ... شغلتها الروائح والعطور ... شغلها السندس والإستبرق ، شغلها اللؤلؤ والمرجان ، والأباريق والأكواب ، التى يطوف بها الوِلْدَان والغلمان ، شغلها حديث النبى – ﷺ – : « فيها مالا عين رأت ، ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ... شغلها طريق الوصول إلى هذا النعيم ، فشمرت عن ساعد الجد ، رجاء أن تحظى بهذا الرضوان ، فصدق عليها قول رسول الله – ﷺ : « من خاف أَدْلَج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله هى الجنة » .

---

(١) سورة المجادلة ، جزء من الآية : ٧ .

(٢) سورة العنكبوت : ٦٤ .

• لم يغب عن مخيلتها مناظر يوم العرض على رب العالمين ، يوم تدنو الشمس من رءوس الخلائق وقد بلغ بهم الجهد إلى حد أن العرق يلجمهم إلجاما ، شغلها ذلك الموقف العظيم ، يوم يحشر الناس حُفَاةً عُراة غُرْلا (غير مختونين) ، الرجال والنساء ، ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ ، شغلتها مناظر النار ، من السلاسل والأغلال ، من الحميم والزقوم ، من العقارب والحيات ، من الطبقات والدركات ، شغلها ، ومازل يَرِنُّ فى سمعها يوم ينادى المنادى : ياهل الجنة خلودٌ موت ، ياهل النار خُلود بلا موت .

• شغلها كل هذا وغيره فأحسنت العمل ، وحق عليها ما جاء فى الحديث القدسى : « لا أجمع لعبدى أمْنَينْ ، ولا أجمع عليه خَوْفَيْن ، إن أمِنَنى فى الدنيا أخَفْتُه فى الآخِرة ، وإن خافنى فى الدنيا أمَّنْتُه فى الآخرة » [1] .

ففازت ... وفازت .. وجعل الله لها لسان صدق فى الآخرين .

من المواقف المشهورة والمشهودة لمسلمات ملتزمات :

١ - خولة بنت حكيم :

استوقفت هذه المرأة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يومًا وقالت له : « اتقِ الله ياابن الخطاب وانظر فى أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد قَرُب عليه البعيد ، ومن خشى الموت خاف الفَوْتَ » فقال لها المُعَلَّى بن الجارود العَبْدى - وكان رفيق عمر فى هذا الموقف : إيهًا يا أَمَةَ الله ، فقد أبْكَيْتِ أمير المؤمنين ، فقال له عمر : اسكُتْ ، أتدرى مَن هذه ؟ ويْحك ، هذه خوْلة بنت حكيم التى سمع الله قولها من فوق سمائه ، فعمر أحْرَى أن يَسْمَعَ لها ويقتدى .

---

(١) الاتحافات السنية فى الأحاديث القدسية للمناوى .

٢ - امرأة تراجع عمر فى تحديد مهور النساء :

ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره عن أبى عبد الرحمن السُّلَمى قال : قال عمر بن الخطاب : لا تغالوا فى مهور النساء ، فقالت امرأة : ليس لك ذلك ياعمر ، إن الله يقول : ﴿ وآتَيْتُمْ إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئًا ﴾ (١) أى من ذهب ، وكذا فى قراءة عبد الله بن مسعود ، فلا يحل لكم أن تأخذوا منه شيئًا ، فقال عمر : إن امرأة خاصمت عمرَ فَخَصَمَتْه ، حتى جعلت عمر يقول قولته الشهيرة : أخطأ عمر وأصابت امرأة ...

فأى شريعة كفلت للمرأة من الحرية وإبداء الرأى الجاد مثل الذى كفلته لها شريعة الإسلام ؟! . أى دستور من دساتير الأرض أعطاها ولو عُشْرَ مِعْشَار هذه الحقوق ؟ فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ .

٣ - امرأة تتحدث بالقرآن :

قال عبد الله الواسطى : رأيت امرأة على جبل عرفات وهى تقول : ﴿ مَنْ يُضْلِلِ الله فما له من هادٍ * ومَنْ يهدِ الله فَمَا له من مُضِلٍّ ﴾ (٢) . فَعَلِمْتُ أنها ضَالَّة ، فقلت : أيتها المرأة من أين أقبلت ؟ قالت : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ (٣) فعلمت أنها من بيت المقدس ، فقلت : ما الذى جاء بكِ ؟ قالت : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ (٤) ، فقلت : ألك زوج ؟ قالت : ﴿ ولا تَقْفُ ماليس

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : ٢٠ .

(٢) سورة الزمر : آخر الآية ٣٦ وأول الآية ٣٧ .

(٣) أول سورة الإسراء .

(٤) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ٩٧ .

لك به علم ﴾ (١) ، فقلت : أتركبين بعيرًا ؟ قالت : ﴿ وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ (٢) ، فلما أرادت الركوب قالت : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾ (٣) ، فأعْرَضْتُ عنها ، فلما رَكِبَتْ قات : ما اسمك ؟ قالت : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم ﴾ (٤) ، وأخذ يسألها وهى تجيب على هذا النحو بآيات من القرآن ، حتى أَوْصَلَهَا إلى أولادها وسألهم عن قصتها ، فأخبروه بأنها ضلت الطريق منذ ثلاثة أيام ، وأنها قد نذرت ألا تتكلم إلا بالقرآن .

أليست هذه هى المرأة المسلمة الملتزمة ؟!

أليست هذه بعض مواقفها المشهورة والمشهودة ؟!

أليست هذه بعض مراجعاتها الجريئة والصادقة لخيار الصحابة ، لعمر الذى كان الشيطان يفر من طريقه ؟!

فإذا أرادت المرأة العصرية أن تلحق بركب الصالحين ، وتدرك من الخير مثل الذى أدركته المسلمة الملتزمة فما عليها إلا أن تُقْبِلَ على دينها تتعلم منه كل مفيد ، وتعمل بما تعلم ، وتهجر خلاعة العصر ومجونه ، وتتعرف على الدور الحقيقى المطلوب منها ، وليَسْتِقَرَّ فى ذهنها أن النساء شقائق الرجال ، وألا تجرى خلف كل زاعق وناعق ، وألَّا تُصْغِىَ إلا لصَوت الحق ، وألَّا تلوذَ إلا بدستور السماء فهو الذى يصونها ويحميها ..

* * *

(١) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٣٦ .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : ١٩٧ .

(٣) سورة النور ، جزء من الآية : ٣٠ .

(٤) سورة مريم ، جزء من الآية : ١٦ .

الفصل الرابع

حقوق كل من الأبناء والآباء قِبَلَ بعضهم البعض

لقد ذكرنا فى الفصل السابق أسس اختيار كل من الزوجين للآخر ، ثم فصَّلْنا القولَ فى بيان الحقوق المترتبة على إنشاء علاقة الزوجية ، وقيام الأسرة على أساس من هذا الرباط المقدس ، ونرى تَتِمَّةً لهذا الموضوع أن نلمح إلى حقوق كل من الأبناء والآباء لدى بعضهم البعض ؛ ذلك لأن الأسرة المتماسكة نسيج محكم ، سُداه الوالدان ولُحمته الأبناء ، وحتى تسير تلك القافلة الصغيرة فى خِضَمِّ الحياة على بصيرة من أمرها ، غيرَ عابئة بالأنواء ، ولا متحركة بدافع من الأهواء ، فلابد أن يكون أفرادها على عِلْم بما أوجب الله لهم من الحقوق ، وبما ألزمهم به من الواجبات ، وإذا كانت هذه الحقوق وتلك الواجبات من الكثرة بمكان ، فإن حسنَ اختيار الزوجة واتباعها لقواعد الدين وأصوله ، ورياضتها على الخير ، أمور تعين على الوفاء بكل هذه الالتزامات ، وتسهل أمر الحياة الأسرية ، ويطيب لنا أن نقدم لك أخى القارئ هذه الحقوق على النحو التالى :

أولًا : حقوق الأبناء على الآباء :

لقد آثرت البَدْءَ بهذه الحقوق مُوَاكَبَةً للسُّنَن الطبيعى ، فما يزال الأبناء منذ ولادتهم فى حاجة ماسة إلى رعاية الآباء لهم ، وعطفهم الشديد ، وحَدَبهم الدائم والدائب عليهم ، فهم الذين يديرون شئون معاشهم صغارًا ، ويرشدونهم إليه وإلى أمر معادهم كبارًا ، وفلسفة الزواج فى الإسلام لا تكمن فى إشباع الرغبة الجنسية ، ولا فى إِرْوَاءِ الغريزة النفسية بقدر ما تكمن فى الحفاظ على النسل ،

وإبقاء النوع الإنسانى وإكثاره مع الحفاظ على قوته وسلامته ، ماديًّا ومعنويًّا ، وقد وردت بذلك النصوص الصريحة والصحيحة ، من القرآن الكريم والسنة النبوية الطهور ، فمن ذلك ما روى عن معقل بن يسار أن رجلًا جاء إلى رسول الله - ﷺ - فقال : يارسول الله إنى أحببت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه ، ثم أتاه الثانية ، فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة ، فقال له : « تزوجوا الولود الودود فإنى مكاثر بكم الأمم » (١) .

وروى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال : « انكحوا أمهات الأولاد فإنى أُباهى بكم يوم القيامة » (٢) .

كما عبر الشاعر عن عاطفة الآباء الجياشة نحو الأبناء فقال :

إنما أبناؤنـــا بيننـــا أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى عن الغمض

كما أن إنجاب الأولاد ، والإحسان إليهم ، وحسن تربيتهم فيه ما فيه من تحقيق المصالح الدينية والدنيوية ، فى الأولى والآخرة ، فَبِهِمْ تقر أعين الآباء ، كما يكونون عونًا لهم - عند الكبر - على قضاء المصالح والحاجات ، هذا فضلًا على أن فى وجودهم امتدادَ حياة الآباء بعد موتهم ، من نحو ثواب الأعمال الصالحة إليهم ، وتخليد ذكرهم وميراثهم ، يقول الله تعالى - : ﴿ ذِكْرُ رحمة ربك عبده زكريا * إذْ نادَى ربه نداء خفيًا * قال رَبِّ إنى وهَنَ العظمُ منى واشتعل الرأس شيبًا و لم أكن بدعائك ربِّ شقيًّا * وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرًا فَهَبْ لى من لَدُنْكَ وليًّا * يَرِثُنِى ويرثُ من آل يعقوب واجعله رب رضيا ﴾ (٣) . ويقول أيضا : ﴿ وورثَ سليمانُ داودَ ﴾ (٤) .

---

(١) رواه أبو داود والحاكم والنسائى .
(٢) رواه الإمام أحمد .
(٣) سورة مريم : ٢ - ٦ .
(٤) سورة النمل ، جزء من الآية : ١٦ .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ – : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو عِلْم يُنْتَفَعُ به ، أو ولد صالح يدعو له » [١] .

وعنه أيضًا : « إن العبد لترفع له الدرجة فيقول : أى ربى ، أنَّى لى هذا ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » .

وهذه الحقوق كثيرة ومتعددة ، منها المادى ومنها المعنوى ، ولكنها مع هذا لا تخرج فى جملتها عن الكليات الخمس التى حفلت بها مقررات الشريعة الغراء ، والتى تشمل : حفظ النفس ، وحفظ العقل ، وحفظ العرض ، وحفظ الدين ، وحفظ المال ، وإن شئت فَقُل إن هذه الحقوق على الجملة – يمكن أن نطلق عليها الرعاية العامة ، ويندرج تحتها أفرع لها مثل : الرعاية الصحية ، الرعاية الخُلُقية ، الرعاية الدينية ، فكل جانب من هذه الجوانب يسهم فى بناء الفرد بدرجة معينة ، حتى يشب عن الطوق فردًا سَوِيًّا .

وستتم مناقشة هذه الحقوق على النحو التالى :

(أ) الرعاية الصحية :

١ – الإرضاع .
٢ – حلق شعره بعد الأسبوع الأول من مولده .
٣ – الختان .
٤ – الحضانة .
٥ – النفقة .
٦ – آداب الأكل والشرب .

---

(١) رواه مسلم .

٧ – تعلم الرياضات المفيدة .

٨ – تقويم السلوك الجنسى .

(ب) الرعاية الخُلُقِيَّة :

١ – التسمية .

٢ – التعليم .

٣ – العدل والمساواة بين الأبناء .

(جـ) الرعاية الدينية :

١ – التأذين والإقامة فى أُذنيه عقب الولادة .

٢ – العقيقة .

٣ – تعلم أصول الدين .

٤ – رياضته على مكارم الأخلاق .

(أ) الرعاية الصحية :

ونعنى بها رعاية أجسام الأطفال منذ الولادة وحتى يشبواعن الطَّوْق ويبلغوا مرحلة اليَفَاع ، سواء أكانت رعاية غذائية أو علاجية أو وقائية ، وكذلك تقويم أجسامهم بالرياضات المفيدة والسلوك القويم ، وتشمل مايلى :

١ – الإرضاع :

إن إرضاع الطفل واجب شرعى على والديه ، وذلك لمدة تكفى لإنبات اللحم وإنشاز العظم ، رضاعة طبيعية من الأم مع العناية بتغذية الأم فى هذه الفترة حفاظاً على جودة اللبن ، ووفاءً بمتطلبات جسم الوليد ، يقول الله – تعالى – : ﴿ والوالدات يُرْضِعْنَ أولادهن حَوْلَيْن كاملين لمن أرادَ أن يُتم الرضاعة ، وعلى

المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تُكَلَّفُ نفسٌ إلَّا وُسْعَها ، لا تُضَارَّ والدةٌ بولدها ولا مولودٌ له بولده ﴾ (١) .

ومن الأمور الجوهرية والهامة التى يجب أن نُثْبِتَها هنا ، أن إرضاع الطفل إرضاعًا طبيعيًّا من ثديى أمه له فوائد صحية ونفسية لا تُقَدَّرُ بالنسبة للمُرْضِع والرَّضِيع ، وسنذكر لك جانباً من هذه الفوائد فيما يلى :

• الفوائد التى تعود على الطفل :

١ - لبن الأم غذاء ودواء :

إن تركيب لبن الأم يحتوى على المكونات الغذائية والدوائية للطفل ، وبخاصة فى أيام الرَّضاع الأولى ، فقد أثبت الطب أنه يحتوى على أنواع من المضادات الحيوية للميكروبات ، بحيث تُعين الطفلَ على اجْتِيَاز تلك المرحلة الدقيقة ، والتى لا حول له فيها ولا قوة ، كما أن لبن الأم يلائم حياة الطفل مُلاَءَمَةً تامة ، من حيث حجمه ونوع مكوناته التى تفى بمتطلبات جسم الطفل فى المراحل العمُرْية المختلفة ، كما أنه هو الغذاء الوحيد المتوازن الذى يستحيل أن تجد الموادَّ المكونة له فى غذاء آخر سواه ، ولك أن تعجب إذا علمت أن درجة حرارة اللبن تتعدل حسب احتياجات الجسم أيضًا ، فهو حار فى الشتاء بارد فى الصيف ، وفى ذلك ما يضمن للطفل عدم حدوث النزلات المعوية .

كما ثبت طبيًّا أن لبن الأم يحتوى على مادة « الكوليسترو م » التى تعمل على تطهير القناة الهضمية لدى الرضيع ، وبخاصة فى اليومين الأَوَّلَيْن ، فتخلصها من السوائل الموجودة بها نتيجة للتغذية الجنينية السابقة ، كما تعمل على تهيئتها للتغذية الجديدة ، هذا فضلاً عن فوائدها الأخرى التى تعود على الطفل .

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٣٣ .

٢ – الرضاعة الطبيعية تزيد معدلات ذكاء الأطفال :

أثبتت البحوث الطبية أن الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية من أمهاتهم يتمتعون بقدر مرتفع من الذكاء ، هذا بمقارنتهم بِنُظَرَائِهم الذين يعتمدون فى رضاعهم على الألبان الصناعية .

٣ – الرضاعة الطبيعية تزيد مناعة الطفل :

فقد ثبت أيضًا أن الأطفال الذين يرضعون طبيعيًّا من أمهاتهم تكون لديهم قدرة عالية على اجتياز النزلات الشُّعَبِيَّة والمعوية ، هذا بمقارنتهم بنظرائهم الذين يعتمدون على الرضاعة الصناعية ، وذلك أمر طبيعى وبَدَهِى ، فالمكونات الطبيعية للبن الأم تختلف بلا شك عن مكونات اللبن الصناعى .

٤ – الرضاعة الطبيعية تساعد على الاستقرار النفسى :

فضلًا عَمَّا أشرنا إليه من الفوائد الصحية التى تعود على الطفل من الرضاعة الطبيعية ، فإنها توفر للطفل السعادة والاستقرار النفسى ؛ لما يتمتع به من شعور بالأمان والاستقرار والدِّفْء فى أحضان أمه ، ولا يقتصر ذلك على الطفل وحدَه ، بل إن الأم تستفيد صِحِّيًّا ونفسيًّا من ممارستها لعملية الإرضاع الطبيعى .

• الفوائد التى تعود على الأم من الرضاعة الطبيعية :

١ – الإرضاع هو المتمم الطبيعى للحمل والوضع .

٢ – تمر الأم بعد الوضع بفترة هامة من حياتها الجنسية تعرف بفترة النِّفاس ، وترجع أهمية هذه الفترة إلى التغيرات الهامة التى تحدث للرحم من الانكماش حتى يرجع إلى حالته الطبيعية ، والعمل على إسراع انْبِثَاق اللبن من الثدى .

٣ - يُعَدُّ مص الطفل لثدى أمه إحدى الضرورات التى تَحُضُّ الرحِمَ على الدخول فى انقباضات قوية منَسَّقَة ، تحدث كلما ضمَّت الأم وليدَها إلى صدرها ، ومن هنا فإن ظاهرة الانكماش الرَّحمى تتم بصورة طبيعية صحيحة وسهلة ، وتعرف المادة المسئولة عن ذلك بمادة Oxytocin وهى عبارة عن أحد الهرمونات التى تفرزها الغدة النخامية .

٤ - تعمل انقباضات الرحم المتتالية ، والتى تُحَرِّضُها الرضاعة ، على وقف أى ميل لنزف الجيوب الوريدية التى تفتح بانفصال المشيمة والأغشية الجنينية المختلفة .

٥ - اتضح أن الأمهات اللائى لا يُرْضِعْنَ أطفالهن قد تضخمت أرحامُهن بنسبة ٧٥٪ من الحالات قَيْدِ الدراسة .

٦ - يعمل الإرضاع الطبيعى عند المرضِع على انقطاع الحيض خلال مدة الرضاعة ، وهذا بدوره يساعد على إراحة الأعضاء التناسلية ، ومنع احتقان الرحم ، وسهولة انكماشه ؛ وذلك لأن إنزيم « البرولاكتين » يزيد من إدْرَار اللبن ، وفى نفس الوقت يقلل إفراز الهرمونات المنبهة للمبيض Gonadotrophins فلا يحدث التبويض ، وبالتالى لا يحدث الحيض .

٧ - كما أن الإرضاع الطبيعى يكون أدْعَى لحماية المرأة من الإصابة بسرطان الثدى .

٨ - ومن جهة أخرى فإن الأم لا تستفيد صِحّيًّا فقط من جَرَّاء الإرضاع الطبيعى ، ولكنها تستفيد نفسيًّا وعاطفيًّا من ممارسة هذه العملية أيضًا ، فالارتباط النفسى والعاطفى بين الأم وطفلها أثناء الإرضاع من أهم عوامل الاستقرار النفسى والوجدانى لكل منهما ، فإذا أَحْسَنَتِ الأم تَدْبِيرَ الإرضاع على القواعد الصحيحة

عاد ذلك عليها بأجَلِّ الفوائد ، من حفظٍ لصحتها ، ووقايتها من كثير من الأمراض النسائية .

أليس فى كل هاتيك الفوائد ما يَدْحَضُ مزاعم بعض كَسَالى الأمهات من أن الإرضاع يذهب بِرَوْنَقِ الجسم وجماله ، ويضعف القُوَى ويُنْهِكُهَا ، لا شك فى أن ذلك مَحْضُ اخْتِلاق ، واعتقاد خاطىء ، وشبهة أوْهَى من بيت العنكبوت .

٢ - حلق شعر رأسه بعد الأسبوع :

يُستحب حلق شعر رأس المولود - ذكرًا كان أو أنثى - يوم السابع من ولادته ، والتصدُّق بوزن شعره فضةً على الفقراء والمساكين ، فقد روى الإمام مالك فى موطئه عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : « وَزَنَتْ فاطمة شعرَ حسن وحسين وزينبَ وأم كلثوم فتصدقَتْ بزنة ذلك فِضَّةً » [١] .

والمستحب هو حلق جميع شعر الرأس لا القزع (أى حلق مواضع وترك أخرى) ، فعن عبد الله بن عمر قال : « نهى رسول الله - ﷺ - عن القزع » .

وترجع أهمية حلق شعر المولود من الناحية الصحية إلى أن فى إزالة الشعر تقوية له ، وفتحاً لمسام الرأس ، وكذلك تقوية حاسة البصر والسمع والشم ، كما أن فى التصدق بوزن الشعر فضة لوناً من ألوان التكافل الاجتماعى ، فضلًا عن كون الصدقة عبادة تشفى من الأسقام ، فقد قال رسول الله - ﷺ : « حَصِّنُوا أموالكم بالزكاة ودَاوُوا مَرْضَاكم بالصدقة » .

٣ - الختان للذكر والخفاض للأنثى :

لقد أوجب الشرع الختانَ للذكر ، وعلى ذلك معظم الأئمة والفقهاء ، وجعله للأنثى سُنةً أو مَكْرُمَةً ، ومن العلماء من يرى أنه سنة للرجال والنساء .

---

(١) انظر تحفة المودود ص ٧٨ .

والختان بالنسبة للذكر يعنى قطعَ القُلْفَة (أى الجلدة) التى على رأس الذكر ، لتظهر الحشفة ، ويعتبر الحرف الدائرى أسفل الحشفة ، أى موضع من جلدة الذكر هو الذى تترتب عليه الأحكام الشرعية ، يقول رسول الله – ﷺ : « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » (١) . وفى رواية الطبرانى : « إذا التقى الختانان وغابت الحشفة فقد وجب الغسل ، أُنْزَلَ أَوْ لَمْ يُنْزِلْ » .

والخِفَاض بالنسبة للأنثى هو قطع الجزء الأعلى من قمة البَظْر ، والبَظْر عضو فى فرج الأنثى يشبه الذكر فى الرجل مع الفارق فى الحجم والتركيب ، وهو عضو حسى ، يفيد عند التقاء الذكر بالأنثى جنسيًّا ، وعليه فإن قطعه جميعه يلحق الضرر بالأنثى فيورث البرود الجنسى ، والمقصود منه الخفض ؛ ولهذا فقد روى أن مَيْمُونَةَ زوج النبى – ﷺ – قالت للخافضة : « إذا خفضت فأَشِمِّى ولا تنهكى ، فإنه أَسْرَى للوجه ، وأَحْظَى لها عند زوجها » (٢) .

وأفضل أوقات الختان فى الأيام الأولى من الولادة ، والدليل على ذلك ما روى عن جابر أنه قال : « عَقَّ رسول الله – ﷺ – عن الحسن والحسين وخَتَنَهُمَا لِسَبْعَةِ أيام » (٣) .

أهمية الختان والخفاض :

مما لا شك فيه أن الختان والخفاض لهما فوائد صحية وطبية عظيمة فضلًا عن أهميتهما الدينية ، فَهُمَا من سنن الفطرة ، وشِعار الإسلام ، وإقرار بالعبودية لله ، والختان يجلب النظافة وتحسين الخلقة وتعديل الشهوة ، ويقى صاحبه كثيراً من الأمراض .

---

(١) انظر تحفة المودود ص ١٢٥ .
(٢) رواه أحمد والترمذى والنسائى .
(٣) رواه البيهقى .

عن أبي أيوب قال : قال رسول الله – ﷺ : « أربع من سنن المرسلين : الختان ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » [١] .

عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله – ﷺ : « من الفطرة : المضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك ، وتقليم الأظافر ، ونَتْف الإِبط ، والاسْتِحْداد ، والاخْتِتَان » [٢] . والاستحداد : حلق شعر العانة .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ : « الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونَتْف الإبط » [٣] .

والمراد بالفطرة هنا الفطرة العملية ، لا فطرة القلب ، وهى معرفة الله والإيمان به .

٤ – الحضانة :

إن الولد محتاج لمن يُعْنَى به ويقوم على تربيته وحِفظه وتَدْبير كل ما يلزمه فى حياته ، حيث يكون عاجزًا عن القيام بمصالح نفسه . غيرَ مُدْرِك لما يضره وما ينفعه ، وقد جعل الشارع هذا الأمر لِوَالِدَيِ الصغير ؛ لأنهما أقرب الناس إليه فى هذه الحياة ، وَوَزَّع الأعباءَ عليهما ، كُلٌّ فيما يصلح له ، فقد جعل تربيته ورعاية شئونه فى المرحلة الأولى للأم ، وأمَّا عن ولاية التصرف فى نفس الولد وماله فقد جعلها للأب [٤] .

أما إذا اختلف الوالدن أو انفصلا فإن الحضانة تكون للأم مادام الطفل

---

(١) رواه الترمذى والإمام أحمد .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) متفق عليه .

(٤) انظر علاقه الآباء بالأبناء ص ٩٣ .

صغيرًا ، ثم تئول للأب عند الكِبَر ، وقيل : تئول لأَصْلَحِهِمَا للطفل ، وهناك آثار كثيرة فى هذا الشأن ، نذكر منها ما يلى :

عن عبد الله بن عمْرو أن امرأةً قالت : « يارسول الله إن ابنِى هذا كان بطنى له وعاء ، وثديى له سِقَاء ، وحِجْرى له حِوَاء ، وإنَّ أباه طلَّقنى وأراد أن يَنْزِعَه منى ، فقال رسول الله : أنتِ أحَقُّ به ما لم تَنْكِحِى » (١) .

٥ – النفقة :

لقد أوجب الإسلام نفقة الأولاد على والدهم ما داموا عاجزين عن العمل والكسب ، ونعنى بالنفقة توفير ما يحتاج إليه الصغير من طعام وكسوة وشراب ومسكن ، وما إلى ذلك ، بحسب العُرْفِ والعادة ، قال الله تعالى : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ (٢) . عن ثَوْبَانَ أنه قال : قال رسول الله – ﷺ : « أفضل دينار ينفقه الرجل دينار ينفقه على عياله ، ودينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله ، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله » وفى رواية ابن أبى شيبة « أعظمها أجرًا الذى أنفقْتَهُ على أهلك » (٣) .

كما أن تضييع الأولاد ، وترك الإنفاق عليهم ، وإهمال رعايتهم من كبائر الذنوب التى يجب البعد عنها ، قال رسول الله – ﷺ : « كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوتُ » (٤) .

عن عائشة أن هندًا زوجة أبى سفيان قالت : « يارسول الله إن أبا سفيان

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٣٣ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه أبو داود والحاكم .

شحيح ، ولا يعطى من النفقة ما يكفينى وولدى إلا ما أخَذْتُ من ماله بغير عِلْمِهِ ، فقال لها النبى – ﷺ : خُذِى ما يَكْفِيك وَوَلَدَكِ بالمعروف » [١] .

٦ – آداب الأكل والشرب :

إذا كانت الشريعة قد أوجبت للأولاد النفقةَ على الآباء ، بما فيها من الطعام والشراب ، فإنها قد أرشدت إلى اتّباعِ الآداب العامة التى تجعل الطعام والشراب يحقق الفائدة المرجوة من تناوله ، ولا يُنَفِّرُ الجُلَسَاء والمخالطين ، فعلى الوالد أن يعلم أطفاله القواعدَ السليمة ، والعاداتِ الصحيحةَ منذ نعومة أظفارهم ، كما أن عليه أن يغرس فى نفوسهم حُبَّ الحلال والبعد عن الحرام ، فقد رأى رسول الله – ﷺ – الحسنَ أو الحسين وهو طفل صغير ، وقد أخذ تمرة من مال الصدقة ، فنهاه عن تناولها وقال له : « نحن آل محمد لا نأكل الصدقة » .

ونذكر فيما يلى جانباً من آداب الطعام والشراب :

• الاعتدال فى تناول الطعام والشراب :

ينبغى أن يُعَوِّدَ الوالدُ ولدَه على عدم الإفراط فى تناول الطعام أو الشراب ، فضلًا عن تعليمه عدم التفريط فيهما ، يقول الله – تعالى : ﴿ وكلوا واشربوا ولا تُسْرِفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [٢] .

وذلك لأن الإفراط يعود على الإنسان بالتخمة ، وتكرارها يفسد الجهاز الهضمى ويصيب صاحبه بالعلل والأسقام ، وأما التفريط فيسبب المخْمَصَة ، وقد تكون المخمصة شرًّا من التخمة ، يقول القائل : فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ من التُّخَمَ ...

---

(١) انظر علاقة الآباء بالأبناء ص ١٤٥ .

(٢) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ٣١ .

وفى الأثر : المعدة بيت الداء والحِمْيَة رأس الدواء . ويقول رسول الله - ﷺ : « ماملأ آدمى وعاءً شرًّا من بطنه ، بحسب ابن آدم لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلبه ، وإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » (١) .

• غسل اليدين قبل تناول الطعام وبعد الفراغ منه :

فذلك سنة رسول الله - ﷺ - فضلًا عمَّا فيه من التخلص من الأوساخ الضارة التى قد تكون عالقةً باليدين ، وأيضًا فإن ذلك يضفى على الطعام البَرَكَةَ ، والوَفْرَةَ ، فعن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله - ﷺ : « بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده » (٢) وعن أنس قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « من أحب أن يكثر الله خيرَ بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رُفِعَ » (٣) .

• تسمية الله فى ابتدائه والحمد فى آخره :

فعن عائشة أنها قالت : قال رسول الله - ﷺ : « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فإن نَسِيَ أن يذكر اسم الله تعالى فى أوله فليقل : باسم الله أوَّلَهُ وآخِرَه » (٤) .

وكان النبى - ﷺ - إذا أكل أو شَرِب يقول : « الحمد لله الذى أطعَمَنا وسَقَانا وجعَلَنا مُسلمين » (٥) .

---

(١) رواه الإمام أحمد والترمذى .
(٢) رواه أبو داود والترمذى .
(٣) رواه ابن ماجه والبيهقى .
(٤) رواه أبو داود والترمذى .
(٥) رواه الإمام أحمد .

• لا يعيب الطعام الذى يقدم إليه :

عن أبى هريرة قال : « ما عابَ رسولُ الله - ﷺ - طعامًا قط ، إن اشتهاه أكلَه ، وإن كرِهَه تركه » (١) .

ومن ذلك ما ورد أنه لم يأكل من الضَّبِّ حين قُدم إليه على الطعام ، فسأله بعض الحاضرين مَخَافَةَ أن يكونَ مُحرَّمًا ، فأجابهم : « لم يكن فى أرض قومى فأجد نفسى تَعَافُهُ » . فأنواع الأطعمة مبنية على الذَّوْقِ والعادة ، وطُرُقُ طَهْيِ الطعام تختلف من بيئة لأخرى .

• أن يأكل بيمينه وأن يأكل مما يليه :

عن عمرو بن أبى سلمة قال : « كنت غلامًا فى حِجْرِ رسول الله - ﷺ - وكانت يدى تَطِيشُ فى الصَّحْفَةِ (يأكل من أماكن مختلفة من الإناء) فقال لى رسول الله - ﷺ : ياغلام سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » (٢) .

• أن يأكل جالساً :

عن أنس عن النبى - ﷺ - أنه « نهى أن يشرب الرجل قائماً ، قال قتادة : فقلنا لأنس فالأكل ؟ قال : ذلك أشَرّ » (٣) .

• ينبغى ألا يكون لمضغه الطعامَ ولا لتناوله الشرابَ صوتٌ مسموع يُنَفِّرُ مَنْ حولَه ، وكذلك لا يُحْدِث صوتاً بأدوات المائدة حينَ استخدامها .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

٧ - تعلم الرياضات المفيدة :

ويجب على الآباء تدريب أبنائهم على ممارسة الرياضات البدنية النافعة والمفيدة ، كالمشى ، والعَدْوِ ، والسباحة ، والرماية ، وركوب الخيل ، هذا بالنسبة للأبناء ، أما البنات فيمكن تدريبهن على الرياضات التى تتناسب مع طبيعتهن مع اسْتِتَارِهِنَّ عن أعين الرجال ، ومن الرياضات المفيدة لهن تعليمُهُنَّ الحرفَ النافعة لشغل أوقات الفراغ ، كالغَزْلِ والنَّسْج ، وأعمال الإبرة وهو ما يعرف حديثاً بـ « التريكو » ، قال رسول الله - ﷺ - : « علموا أبناءكم السباحة والرمى والمرأة المغزل » . وفى حديث آخر : « علموا أبناءكم السباحة والرماية ، ونعم لَهْوُ المؤمِنةِ فى بيتها المغزل » [1] .

وفى تجربة اليابان حديثاً مايدل على أن المرأة إذا شغلت أوقات فراغها فى بيتها بالحرف المفيدة ، فإن ذلك يعود على الاقتصاد العام بالازدهار .

ولا شك فى أن ممارسة الرياضات البدنية المفيدة يعود على ممارسيها باللياقة البدنية الجيدة ، والقدرة على السعى والعمل وتحمل المشاق ، فضلا عن امتصاصها لطاقاتهم الزائدة ، وفى ذلك ما يصرفهم عن الوقوع فى الشهوات المحظورة أو مخالطة قرناء السوء ، أى أنها تحقق لهم القوة البدنية والقوة الإيمانية ، مصداقاً لقول رسول الله - ﷺ - : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » [2] . ولقد روى الإمام مسلم فى صحيحه أن رسول الله - ﷺ - تلا قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ [3] ثم قال : ألا إن القوَّةَ الرَّمْىُ ، ألا إن القوَّةَ الرمى ، ألا إن القوة الرمى » .

---

(١) فيض القدير ٣٢٧/٤ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الأنفال : من الآية ٦٠ .

٨ – تقويم السلوك الجنسى :

من الأمور الصحية الهامة التى أوجبها الإسلام على الآباء تقويم السلوك الجنسى للأبناء ، عن طريق المراقبة المستمرة ، والتوعية الجادة ، حتى يجتازوا تلك المرحلة الحرجة فى حياتهم ، فالغريزة الجنسية تنمو بنمو الوليد حتى تصل قِمَّتَهَا عند البلوغ ، وبها يُسْتَدَلُّ على النضج الجنسى ، وتبدأ التكاليف الشرعية ، فلا ينبغى تجاهل تلك الغريزة ، ولا التهوين من شأنها ، وإنما يجب الاهتمام بها لإمكان السيطرة عليها ، وتوجيهها الوجهة الطيبة ؛ ذلك لأن غاية تقويم السلوك الجنسى لدى النَّشْءِ إنما هو إقامة مجتمع فاضل لا يَعْكُفُ على الشهوات ، وإنما تنطلق ملكاتُ الخير فيه نحو الإبداع والابتكار .

ومن التوجيهات الإسلامية التى وضعها الإسلام للمساهمة فى تقويم السلوك الجنسى لدى الناشئة من الأبناء مايلى :

• غض البصر :

يقول الله – تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يُبْدِيَن زينتهن إلا ما ظهر منها ولْيَضْرِبْنَ بخُمُرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبُعُولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غيرِ أُولى الإِرْبَةِ من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن لِيُعْلَمَ ما يُخْفِين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾ (١) .

---

(١) سورة النور : ٣٠ و ٣١ .

أنفسكم أضمنْ لكم الجنةَ ، اصدُقوا إذا حدَّثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدُّوا الأمانة إذا ائتُمِنْتُم ، واحفظوا فروجَكم ، وغُضُّوا أبصاركم ، وكُفوا أيديَكم » [١] .

وروى البخارى أن النبى - ﷺ - أرْدَفَ الفضلَ بن العباس رضى الله عنهما يوم النحر خَلْفَه ، وكان الفَضْل قد ناهَزَ البلوغ ، فَطَفِقَ الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة من خَثْعَم ، كانت تسأل النبى عن أمور دينها ، فأخذ النبى يُعَنِّفُ الفَضْل فَحَوَّلَ وجهَه عن النظر إليها » . وفى رواية الترمذى : أن العباس قال للرسول - ﷺ : لَوَيْتَ عُنَقَ ابنِ عَمِّك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « رأيتُ شابًّا وشابة فلم آمَنْ عليهما الفِتْنَةَ » .

أى أن النبى كان يُقَوِّمُ سلوكَ الفضل ويَصْرِفُه عن النَّظَر المحرَّم .

وفى هذه المعانى يقول القائل :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظمُ النار من مستصغر الشرر
كم نظرةٍ فعلتْ فى قلب صاحبها فِعلَ السهام بلا قَوْسٍ ولا وَتَر
والمرء ما دام ذا عين يُقَلِّبُها فى أَعْيُنِ الغِيد مَوْقُوف على الخطر
يَسُرُّ مُقْلَتَهُ ما ضَرَّ مُهجَتَه لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

• الابتعاد عن عوامل الإثارة الجنسية :

ومن الأمور التى تعين على عدم الإثارة الجنسية لدى المراهقين مايلى :

(أ) التفريق بين الذكور والإناث فى المضاجع :

يقول رسول الله - ﷺ - : « مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفَرِّقوا بينهم فى المضَاجع » [٢] .

---

(١) رواه أحمد وابن حبان .

(٢) رواه الحاكم وأبو داود .

عن أبى هريرة عن النبى – ﷺ قال : « كُتِبَ على ابن آدم نصيبُه من الزنى فهو مدرك لا محالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرِّجْلُ زناها الخُطَا ، والقلب يهوى ويَتَمَنَّى ، ويصدق ذلك الفرجُ أو يكذبه » (١) .

عن أم سلمة قالت : كنت عند النبى – ﷺ – وعنده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتوم ، وذلك بعد أن أُمِرْنَا بالحجاب ، فقال النبى : « احْتَجِبَا منه » فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى لا يُبْصِرُنَا ولا يعرفنا ؟ فقال : « أَفَعَمْيَاوَانِ أنتما ؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانه ؟ » (٢) .

ولقد بين رسول الله – ﷺ – أن ترك النظر إلى المحرمات يورث حلاوة الطاعة فى القلب ، وإليك طائفة من النصوص الدالة على ذلك :

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله – ﷺ – فيما يرويه عن رب العزة تبارك وتعالى : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، من تركها من مخافتى أَبْدَلْتُه إيمانًا يجد حلاوَتَه فى قلبه » (٣) .

عن أبى أمامة عن النبى – ﷺ – قال : « مامن مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يَغُضُّ بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها فى قلبه » (٤) .

عن عبادة بن الصامت أن النبى – ﷺ – قال : اضمنوا لى ستًّا من

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) رواه الطبرانى والحاكم .

(٤) رواه أحمد والطبرانى .

وذلك تجنبًا للإثارة الجنسية إذا رأى بعضهم عورات البعض حَالَ النوم أو اليقظة .

(ب) تعليمهم آداب الاستئذان :

ومن المفيد أن نذكر الآية القرآنية التى توضح آداب الاستئذان ، يقول الله – تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لِيَسْتَأْذِنْكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الْحُلُمَ منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طَوَّافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات ، والله عليم حكيم * وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته ، والله عليم حكيم ﴾ [(١)] .

فالأطفال الذين لم يبلغوا الحلم يجب على الآباء تعويدهم الاستئذان فى هذه الأوقات الثلاثة ، وهى قبل صلاة الفجر ، ووقت الظهيرة ، وبعد صلاة العشاء ؛ لأن الآباء غالباً ما يَهْجَعُونَ إلى الراحة والسكون فى هذه الأوقات ، وذلك يَسْتَتْبِعُ خَلْعَ الملابس ، إلا الداخليةَ ، وفى ذلك احتمال أن تنكشف السوءاتُ ؛ ولذا وجب الاستئذان . وأما إذا بلغ الأطفال الحلم فعليهم أن يستأذنوا فى جميع الأوقات التى يدخلون فيها على الكبار .

(جـ) عدم اختلاط الجنسين والبعد عن الصور الخليعة والأفلام الجنسية الوضيعة التى تحرك كامن الشهوةوتثير الغريزة الجنسية فيكتوى الأبناء بِلَظَاهَا ، هذا فضلًا عن الابتعاد عما يعرف حاليًا بأفلام الجنس التى أصبحت متاحةً بسبب التقدم

---

(١) سورة النور،الآيتان : ٥٨ و ٥٩ .

التّقَنِى فى وسائل البَثّ والالْتِقَاط ، كأجهزة الفيديو والدوائر التليفزيونية المغلقة ، فهذا شَرٌّ مستطيرٌ وخطرٌ دَاهِم .

(د) المحافظة على حدود الجنس فلا تَشَبُّهَ ولا تَخَنُّثَ :

وذلك واجب أكيد على الآباء بالنسبة للأبناء ، فعليهم أن يعملوا جاهدين على حدود الجنس بين الفتى والفتاة ، حتى لا يتشبه الولد بالبنت ، ولا تتشبه الفتاة بالفتى ، وحتى لا تسرى فى الأمة مظاهر التخنث والميُوعة ، ولا يُعتَدى على الفضيلة والأخلاق ، عن ابن عباس أن رسول الله – ﷺ – قال : « لعن الله المخنَّثين من الرجال ، والمترجلاتِ من النساء » وهذه رواية البخارى ، وأبو داود ، والترمذى ، وفى لفظ آخر عند أحمد وأبى داود وابن ماجه : « لعن الله المتشبهاتِ من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » .

ومن التشبه أن تَلْبَس النساءُ الشَّعْرَ المستعار (الباروكه) وأن يلبس الرجال حُلِىَّ النساء الذهبية ، كالسلاسل فى الأعناق وملابس الحرير ، فعن سعيد بن المسيب قال : « قدم معاوية المدينة فَخَطَبَنَا وأَخْرَجَ كُبَّةً من شعر فقال : ماكنت أرى أن أحدًا يفعله إلا اليهود ، إن رسول الله بَلَغَه فَسَمَّاه الزُّور » [١] . وفى لفظ مسلم : إن معاوية قال ذات يوم : « إنكم قد أحدثتم زِىَّ سُوء ، وإن النبى – ﷺ – نهى عن الزُّورِ » .

وعن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ – قال : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ، وأُحِلَّ لإناثهم » [٢] .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الترمذى .

(ب) الرعاية الخُلُقِيَّة :

ونعنى بالرعاية الخلقية التَّنْشِئَةَ على حُبِّ معالى الأمور والترَفُّع عن سَفْسَافِها ، كل ذلك فى إطار من تعاليم الدين ومبادئه . عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله – ﷺ – قال : « ما نَحَلَ والدٌ ولدًا من نُحْل أفضل من أدب حسن » (١) .

وعن ابن عباس أن رسول الله – ﷺ قال : « أكرِموا أولادَكم وأحْسِنوا أدبهم » (٢) .

١ – تسمية المولود :

يجب على الوالدين اختيار اسم عَلَم لوليدهما ، ذكراً كان أو أنثى ، كما يستحب أن تُنْتَقَى الأسماء الحسنة ، وخير الأسماء عبد الله وعبد الرحمٰن ، وما شابههما من الأسماء المعبدة لله – تعالى – ، وكذلك أسماء الأنبياء ؛ وذلك لتأخذ الأمة الإسلامية طابعها الخاص والمميز فى أسمائها ؛ لتحمل أعلام العبودية والرحمة ، وتشرف بالانتساب إلى رسول الله – ﷺ – وتعمق معانى الخير فى جوانب الحياة ، وهذه طائفة من الأحاديث الدالة على ماسبق بيانه :

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله – ﷺ – : « من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ، ويحسِنَ اسمه » (٣) .

• عن أنس عن النبى – ﷺ – أنه قال : « الغلام يُعَقُّ عنه يوم

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) أخرجه البيهقى .

السابع ، ويُسَمَّى ، ويُمَاطُ عنه الأَذَى ، فإذا بلغ سِتَّ سنين أُدِّبَ ، وإذا بلغ تسعَ سنين عُزِلَ عن فراشه ، فإذا بلغَ ثلاثَ عَشرَةَ سنةً ، ضُرِبَ على الصلاة والصوم ، فإذا بلغ ستَّ عشرة زَوَّجَهُ أَبُوه ، ثم أخذ بيده وقال : قد أَدَّبْتُكَ وعلمتك وأنكَحْتُك ، وأَعُوذُ بالله فى الدنيا ، وعذابك فى الآخرة » [١] .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله – ﷺ : « إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبدُ الرحمٰن » [٢] .

• عن أبى الدَّرْدَاء قال : قال رسول الله – ﷺ : « إنكم تُدْعَوْنَ يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم ، فأَحْسِنوا أسماءَكم » [٣] .

• عن أبى وَهْب الجشعى قال : قال رسول الله – ﷺ : « تَسَمَّوْا بأسماء الأنبياء ، وأَحَبُّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأَصْدقُها حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومِرَّة » [٤] .

ويتضح من دلك أَنَّ الأسماءَ المحبوبةَ ثلاثة أقسام : فأفضلها : وأعلاها عبد الله وعبد الرحمن ونحوهما مما أُضِيف إلى الله ، أو إلى اسم من أسماء الذات العَلِيَّة ، كعبد الفتاح وعبد الحسيب ، وأوسطها : أسماء الأنبياء ، كأسماء نبينا محمد – ﷺ – وسائرِ إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وأصدقُها : ما كان وَصْفاً للإنسان كحارث وهمام .

أما الأسماء التى تَتَّصِفُ بالرِّقَّةِ والتَّكَسُّرِ والميُوعَةِ ، فيجب أن نَصُونَ أبناءَنا

---

(١) رواه ابن حبان .

(٢) رواه مسلم والترمذى وأبو داود .

(٣) رواه أبو داود .

(٤) رواه أبو داود والنسائى .

عن التسَمِّى بها ، أو أن تكون أعلامًا عليهم ، حتى لا تسرى إليهم بعضُ أوصافها فللمرء نصيبٌ من اسمه - كما يقولون - . ومن الطريف فى هذا الشأن ما رواه يحيى بن سعيد « أن عمر بن الخطاب قال لرجل : ما اسمك ؟ . قال : جَمْرَة . قال : ابن مَنْ ؟ قال : ابن شِهَاب . قال : مِمَّنْ ؟ قال : من الحُرْقَة .

قال : أين مسْكَنُكَ ؟ . قال : بِحَرَّةِ النَّار .

قال : بِأَيِّتِهَا ؟ قال : بنات لَظًى . قال عمر : أدْرِكْ أهلَكَ فقد هَلَكُوا واحْتَرَقُوا ، فكان كما قال عمر » (١) .

وقد ثبت أن رسول الله - ﷺ - قد غير بعض الأسماء القبيحة التى تَسَمَّى بها أُنَاسٌ من المؤمنين . فمن ذلك ما قاله أبو داود : « غَيَّر رسول الله - ﷺ - اسم العاص ، وعزيز ، وعُتُلَّةْ ، وشيطان ، والحكم ، وغُرَاب ، وحباب ، وسمى حربًا : سلمًا ، وسمى المضطجع : المنبعث ، وبنى الزَّنْيَة سماهم : بنى الرِّشدة ، وسمى بنى مغوية : بنى رشدة » تركت الأسانيد اختصارًا .

٢ - التعليم :

وقد أوجب الإسلام على الأب تعليم أبنائه ، وقد وردت بذلك النصوص الكثيرة من القرآن والسنة ، ونذكر جانبًا منها فيما يلى :

• قال الله - تعالى - : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خَلَق * خلق الإنسان من عَلَق * اقرأ وربك الأكرم * الذى عَلَّمَ بالقلم * علم الإنسان مَالَمْ يعلم ﴾ (٢) .

---

(١) رواه مالك فى الموطأ .

(٢) سورة العَلَق : ١ - ٥ .

• وقال أيضا : ﴿ وقل ربِّ زِدْنِى علماً ﴾ [١] .

• عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله - ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » [٢] .

• عن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ : « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنة » [٣] .

• عن أبى أُمَامَةَ أن رسول الله - ﷺ - قال : « فَضْلُ العالم على العابد كفَضْلى على أدْناكم ، إن الله وملائكتَه وأهلَ السماوات والأرض حتى النَّمْلَةَ فى حجرها ، وحتى الحوتَ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّمى الناسِ الْخَيْرَ » [٤] .

معنى التعليم :

يقصد به العمل الدائم والدائب والمحاولات الجادة التى يبذلها الآباء ، وكذلك معاونة المؤسسات المسئولة عن التعليم والثقافة والتوجيه والإعلام فى المجتمع ، من أجل رفع المستوى الذِّهْنِى والفكرى للنَّشْءِ ، عن طريق تهيئة المناخ الصالح ، بإزالة المعَوِّقَات ، وتذليل الصعوبات ، وإتاحة ما يمكن إتاحتُه من الإمكانات ، فَيَشِبّ الأفراد صالحين فى أنفسهم وتسرى بهم وعلى أيديهم روح الصلاح فى المجتمعات والأوطان ، ولا يقتصر مسرح هذه العمليات الهامة على البيت ، وإنما يمتد ليشملَ المدرسةَ ومختلفَ المواقع الأُخرى فى المجتمع ، مما تقع عليه أبصار النَّشْءِ وما يتعاملون معه سَلْبًا أو إيجاباً ، كما أن هذه العمليات

---

(١) سورة طه ، جزء من الآية : ١١٤ .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه الترمذى .

تصاحب الوليد منذ أن يرى ضوء الدنيا بعينيه ، ويستمع لما فيها بأذنيه على نحو ما أوضحه أحد الحكماء قائلا : « لاَعِب ابنَكَ سَبْعًا ، ثم أَدِّبْه سَبْعاً ، ثم صاحبه سبعًا ، ثم اتْرُك له الحبلَ على الغَارِبِ » .

أسس تعليم النَّشْءِ :

(أ) إيقاظ الضمير :

ويكون ذلك بما يتناسب والمراحل العمرية المختلفة للطفل ، وإيقاظ الضمير لدى الناشئة أساسه الإيمان بالله وترسيخ عقيدة التوحيد فى الأذهان ، وأنها فطرة الله التى فطر الناس عليها ، وأنها صِبْغة الله ، ومَنْ أحسنُ من الله صِبْغة ؟ قال رسول الله – ﷺ – : « كل مولود يولد على الفطرة فأَبَوَاه يُهَوِّدَانِه أو يُمَجِّسَانه أو يُنَصِّرانه » [١] حتى إذا ماشَبَّ عن الطوق تَرَسَّخَتْ فى وُجْدَانه عقيدةُ المراقبة . والمشاهدة لله رب العالمين ، فقد سُئِل رسولُ الله – ﷺ – عن الإحسان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

ومن النماذج الجيِّدة فى هذا الصدد والتى ينبغى على الآباء ، فضلا عن المربين أن يلقنوها الناشئة – ما رُوِى من أن معلماً أراد أن يختبر ذكاء الصبيان ومدى تيقظ ضمائرهم ، فدفع إلى كل منهم طائرًا وسكيناً وقال له : اذهب إلى مكان لا يراك فيه أحد ثم اذبح الطائر ، فذهبوا وعادوا وقد ذبحوا طيورهم ، إلا صبيًّا ، جاء بطائره وهو مضطرب ، فسأله المعلم : لماذا لم تذبح الطائر ؟ فقال له : إنك قلت لى : اذبح الطائر فى مكان لا يراك فيه أحد ، فكنتُ كلما ذهبت إلى مكان وجدتُ الله معى ويرانى فلم أستطع أن أذبح الطائر ، وصدق

---

(١) رواه البخارى .

الله العظيم إذ يقول : ﴿ ألم تر أن الله يعلم مافى السماوات ومافى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكْثَرَ إلَّا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شىء عليم ﴾ (١) .

ومن الصور الْمُحَسَّةِ التى تعين على إيقاظ الضمير وتقويتِهِ ما رواه النواس ابن سمعان عن النبى – ﷺ – قال : « ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جَنَبَتَى الّصراط سُورَان فيهما أبواب مُفَتَّحةٌ ، وعلى الأبواب سُتُور مُرْخَاة ، وعلى باب الصراط داعٍ يقول : يأيها الناس ادْخُلوا الصراطَ جميعًا ولا تَعْوجوا ، وداعٍ يدعو من جَوْفِ الصراط ، فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال : وَيْحَكَ لا تَفْتَحْه ، فإنك إنْ تَفْتَحْه تَلِجْه (تدخله) والصراط : الإسلام ، والسوران : حدود الله ، والأبواب المفتحة : محارم الله ، وذلك الداعى على الصراط : كتاب الله ، والداعى من فوق : واعظ الله فى قلب كل مسلم » (٢) .

(ب) تَحَرِّى اختيار الرِّفاق والمخالطين :

إن الإنسان فى أى عصر ومصر ، فى أى زمان وفى أى مكان ، بحاجة إلى اتخاذ الرِّفَاقِ والإخوان ، والأصدقاء والأعْوَان ؛ لأن الإنسان كما يقول العلامة ابن خلدون : « الإنسان مَدَنِىٌّ بِطَبْعِه » ، ولما كان الصديق يُفْضِى إلى صديقه بِذَاتِ نفسه ، ويُشْرِكه فى أَخصِّ ما يَخُصُّه ؛ لِيَأْنَسَ برأيه ، ويَسْتَنِيرَ بفكره ، فإن دَوْرَ الأصدقاء والرفاق دور لا يُجْحَد ، ويجب ألا يُغْفَل لدى الآباء والمرَبِّين بالنسبة للناشئة ، فعليهم أن يرشدوا الأبناء إلى اختيار الإخوان والرفاق الصالحين

---

(١) سورة المجادله : ٧ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، وهذا لفظه ، والنسائى والترمذى وحسَّنه .

لا الطالحين ، الذين لهم صلة بالله ، لا الذين يتنكَّبُونَ جانب الحق ويعرضون عن طريق الله ، ومن النصوص التى ترشد إلى ذلك نذكر ما يلى :

• يقول الله - تعالى - : ﴿ وَاصْبِرْ نفَسك مع الذين يدعون ربهم بالغَداة والعَشِيِّ يريدون وجهه ولا تَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تُطِعْ من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرُطاً ﴾ (١) .

• ويقول الله - تعالى : ﴿ ولا تَرْكَنُوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون ﴾ (٢) .

• ويقول - عز من قائل : ﴿ الأَخِلَّاء يومئذ بعضهم لبعض عَدُوٌّ إلا المتقين ﴾ (٣) .

• يقول رسول الله - ﷺ : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحْذِيَكَ (يعطيك على وجه الهدية) ، وإما أن تَبْتَاع منه ، وإما أن تَجد منه ريحًا طيبة ، ونافِخُ الكِير إمَّا أن يَحْرِقَ ثِيَابَكَ ، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثةً » (٤) .

• عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يُخَالِلْ » (٥) .

---

(١) سورة الكهف : ٢٨ .

(٢) سورة هود : ١١٣ .

(٣) سورة الزخرف : ٦٧ .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه أحمد والحاكم والبيهقى .

(جـ) الاستقلال بالرأى :

وتلك ناحية هامة يجب الالتفات إليها عند تعليم النشء ، ألَا وهى تدريبهم على الاستقلال بالرأى والاعتِدَادُ به متى استكمل أسباب النضج الفكرى والتجربة والمِرَان ؛ ذلك لأن مَغَبَّةَالتقليد خطيرة ، فهى تجعل صاحبها تابعًا لا متبوعًا ، فتقتل فيه روح الإقدام ، فقد رَوَى الترمذى عن النبى – ﷺ – أنه قال : « لا يَكُنْ أحدكم إمَّعَةً يقول : أنا مع الناس ، إنْ أحسنَ الناسُ أحسنتُ ، وإن أساءوا أسأتُ ، ولكن وَطِّنُوا أنفُسَكُم ، إنْ أحسنُ الناس أن تُحسنوا ، وإن أساءوا أن تَجْتَنِبُوا إسَاءَتَهُمْ » .

وكما يقول رسول الله – ﷺ – : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق الناس بها » [(١)] .

(د) الاقتداء بالسلف :

يجب أن نُوَجِّهَ النشء إلى الاقتداء بالسلف الصالح بصفه عامة ، والشَّبَابِ منهم بصفة خاصة .

٣ – العدل والمساواة بين الأبناء :

إن حق العدل والمساواة بين الأبناء أمر قد قدره الإسلام وَنَبَّهَ على التَّحَلِّى به ، حتى لا تتسرب العداوة ، والإحَنُ إلى قلوب الأشِقَّاء ، فيكون التَّدَابُرُ والتقاطع ، لا التواصل والتراحم ، وإذا كانت طبائع الأبناء مختلفةً فذلك أمر غير مُسْتَغْرَب ، ولكن الأغرب منه أن يجنح الآباء فى عواطفهم فيفعلون ما لم يأذن به الله ، من تفضيل بعض الأبناء على بعض ، بَدْءًا بالأحَاسِيسِ والمشَاعِرِ ، وانْتِهَاءً

---

(١) رواه الترمذى ، كتاب العلم ، باب فضل العلم على العبادة ٥/٥١ .

بالثروة والمال ، بل إن بعض الآباء قد يتجاوز مبدأ التفضيل إلى الحِرْمَان الجزْئى أو الكُلِّى ، مع أن الله سبحانه وتعالى قد قال فى كتابه : ﴿ آباءُكم وأبناءُكم لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لكم نَفْعاً ﴾ (١) .

وقد سمى رسول الله – ﷺ – تفضيلَ بعض الأبناء على بعض جَوْرًا ، فعن النعمان بن بشير قال : « أعطانى أبى عطية و لم تَرْضَ أمِّى حتى يُشْهِدَ عليها رسولَ الله – ﷺ – فانْطَلَقَ أبى إلى رسول الله – ﷺ – وقال له : إنى نَحَلْتُ ابنى هذا غُلامًا (أى أعطيته عبدًا) فقال له رسول الله : أَلَكَ وَلَدٌ سواه ؟ قال : نعم . قال رسول الله : أَكُلَّهُمْ وهَبْتَ له مِثْلَ هذا ؟ قال : لا . فقال رسول الله : فلا تُشْهِدْنِى إذًا ، فإنى لا أشهد على جَوْر ، يابشير أتحب أن يكونوا لك فى البر سواء ؟ قال : نعم . قال إذًا فاذهب فارْجعه ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك من الحق عليهم أن يَبَرُّوكَ ، ثم قال : اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » (٢) .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ : « أعينُوا أَوْلاَدَكُم على البِرّ بالإِحْسَانِ إليهم ، وعدم التَّضْيِيقِ عليهم ، والتَّسْوِيَةِ بينهم فى العَطِيَّةِ ، من شاء اسْتَخْرَجَ العقوقَ من ولده » (٣) .

وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « من كانت له أنثى فلم يَئِدْهَا ، ولم يُهِنْهَا ، ولم يُؤْثِرْ وَلَدَه (أى الذكر) عليها أدخله الله الجنة » (٤) .

---

(١) النساء ، جزء من الآية : ١١ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٤) رواه أبو داود والحاكم .

وروى الطبرانى أن رسول الله – ﷺ – قال : « اعْدلوا بين أبنائكم فى النَّحْلِ (أى العطاء) كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف » .

ولو تأملنا سورة يوسف عليه السلام لَبَدَا لنا جَلِيًّا أن أحداثها التى وقعت فى محيط هذه الأسرة النبوية وما صاحبها من مآسٍ وآلام فرقت بين أفرادها ، وأودت ببصر نبى الله « يعقوب » عليه السلام حزناً على مصير ولده « يوسف » المجهول ، لو تأملنا كل ذلك لأيقنّا بأن السبب الحقيقى هو مابدا لأبناء يعقوب من أن أباهم يفضل يوسف وأخاه الشقيق « بنيامين » عليهم فى القرب والعطف والكرم ، فبيتوا فى الظلام أمرًا تلته أمور وفى ذلك يقول الله – تعالى : ﴿ لقد كان فى يوسف وإخوته آيات للسائلين * إذ قالوا لَيُوسُفُ وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عُصبة إن أبانا لفى ضلال مبين * اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يَخْلُ لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين ﴾ (١) .

(جـ) الرعاية الدينية :

(١) التأذين والإقامة فى أذنيه عقب الولادة :

ينبغى أن نُرَدِّدَ ألفاظ الأذان فى الأُذن اليمنى للمولود عَقِبَ ولادته ، كما ينبغى أن نردد ألفاظ الإقامة فى أذنه اليسرى ، ويكون ذلك بصوت هادئ لا يترتب عليه إزعاج للمولود ، ولا يؤثر تأثيرًا ضارًّا بسمعه ، فتلك سنة نبينا – ﷺ – فعن أبى رافع أنه قال : « رأيت رسول الله – ﷺ – أَذَّن فى أُذُن الحسن بن على حين ولدته فاطمة » (٢) .

---

(١) سورة يوسف ، الآيات من : ٧ – ٩ .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

وفى رواية ابن عباس : « أن النبى أذَّن فى أذن الحسن بن على اليمنى حين ولد ، وأقام فى أذنه اليسرى » .

وفضلا عن امتثال السنة فى هذا الفعل فإن فيه من الخير المصبى مافيه ، فمن ذلك أنه يطرد الشياطين ، فعن الحسن بن على – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « من وُلِدَ له مولود فأَذَّنَ فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أمُّ الصِّبْيَان (أى التابع أو القرين) [١] .

(٢) العقيقة :

ومن الأمور التى رغَّب فيها النبى – ﷺ – أن يذبح عن المولود شاة فى يوم سابعه ، وهى سنة عند جمهور الفقهاء ، خلافاً للحنفية الذين لا يرون مشروعيتها لأحاديث رَدَّ الجمهور عليها ، يقول رسول الله – ﷺ – فيما رواه سَلْمَان بن عمار الضّبى : « مع الغلام عقيقة ، فأَهْرِيقوُا عَنْهُ دمًا ، وأَمِيطُوا عنه الأَذَى » [٢] .

ويقول رسول الله – ﷺ : « الغلام مُرْتَهَنٌ بعقيقته ، يُذْبَحُ عنه يوم السابع ويُسَمَّى ويُحْلَق » [٣] .

وقد أفادت بعض الأحاديث أن عقيقة الذكر شاتان ، والأنثى شاة واحدة . كما أفادَ بعضها أن العقيقة شاة للذكر والأنثى بدون تفرقة ، وإعمالًا للنصوص الوارِدة وتوفيقًا بينها ، فمن كان فى سَعَة من العيش فعليه أن يَذْبَحَ عن الذكر شاتين وعن الأنثى شاةً واحِدَةً ، ومن قُدِرَ عليه رزقه فَيُجْزيِهِ شاةٌ واحدة عن كلٍّ من الذكر والأنثى .

---

(١) رواه البيهقى وابن السنى .

(٢) رواه البخارى .

(٣) سنن أبى داود .

وفضلًا عن أن العقيقة قربة لله فهى مظهر من مظاهر الفرح بالمولود مقرونٌ بالطاعة ، كما أنها من مظاهر التكافل الاجتماعى حيث يطعم منها الفقراء ، وفى ذلك توثيق لِعُرَا الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع ، وببركتها يدفع الله عن المولود وعن أهله الشرور ، رجاء أن يُنْبِتَهُ الله نَبَاتًا حَسَناً .

(٣) تعلّم أصول الدين :

ينبغى لولى الأمر أن يعلم أبناءه أصول الدين منذ نعومة أظفارهم ، يُرْفِقُ بهم فى هذا الشأن ، ويتدرج بهم بحسب مرحلة العمر التى يكونون فيها ، فعندما يبدءُون التدريب على الكلام يُعَوِّدُهُم كَلِمَةَ التوحيد ، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله – ﷺ : « افْتَحُوا على صِبْيَانِكم أوَّلَ كَلِمَةٍ بلا إلٰه إلَّا الله » (١) . وأمره بالتدريب على العبادة ، كالصلاة فى سن السابعة ، فعن عمرو بن العاص أن رسول الله – ﷺ – قال : « مُرُوا أَوْلاَدَكُم بالصلاة وهم أبناءُ سَبْعِ سنين ، واضْرِبُوهم عليها وهم أبناء عَشْرٍ . وفَرِّقُوا بينهم فى المضَاجِع » (٢) .

ويجب ترويضهم على معرفة أحكام الحلال والحرام ، كما فعل النبى – ﷺ – مع الحسن أو الحسين حينما أخذ تمرة من مال الصدقة ، يقول رسول الله – ﷺ – فيما رواه ابن عباس : « اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصى الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهى ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

ويكون تأديبهم فى هذا الإطار معتمدًا على ثلاثة محاور :

أولها : حب الله ورسوله .

وثانيها : حب القرآن .

---

(١) رواه الحاكم .

(٢) رواه الحاكم وأبو داود .

وثالثها : حب آل بيت رسول الله – ﷺ – ، فعَن عليٍّ رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله – ﷺ : « أَدِّبُوا أَوْلاَدَكم على ثلاث خصالٍ : حُبِّ نبيكم ، وحبِّ آلِ بَيْتِه ، وتلاوة القرآن ، فإنْ حَمَلَةَ القرآن فى ظِلِّ عرش الله يوم لا ظل إلا ظله ، مع أنبيائه وأَصْفِيَائِه » (١) .

ويقول رسول الله – ﷺ – : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » (٢) .

• عن ابن عباس أن النبى – ﷺ – قال : « أَحِبُّوا الله لما يَغْذُوكم من نعمه ، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أَهْلَ بيتى لحُبِّى » (٣) .

• عن على – رضى الله عنه – أن النبى – ﷺ – أخذ بيد حَسَن وحسين فقال : « من أحبَّنى وأحب هذين وأباهما وأمَّهُمَا كان معى فى دَرَجَتِى يوم القيامة » (٤) .

• عن عبد الله بن الزبير أن النبى – ﷺ – قال : « مَثَلُ أهل البيت مثلُ سَفِينَةِ نُوحٍ ، من رَكِبَهَا نجا ، ومن تَرَكَهَا غَرِقَ » (٥) .

• عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله – ﷺ : « إِنِّى تاركٌ فيكم ما إنْ تمسكتم به فلن تَضِلُّوا بعدى ، كتابَ الله وعِتْرَتِى ، أَهْلَ بيتى ، ولن يَتَفَرَّقَا حتى يَرِدَا عَلَىَّ الحوضَ ، فانظروا كيفَ تَخْلُفُونى فيهما » (٦) .

---

(١) رواه الطبرانى .
(٢) رواه البيهقى والديلمى .
(٣) أخرجه الترمذى وحسنه .
(٤) رواه الترمذى بسند حسن .
(٥) أخرجه البزار .
(٦) أخرجه الترمذى وحسنه .

رياضتهم على اللجوء إلى الله فى أوقات الشدة والرخاء :

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : كنت خلفَ النبى – ﷺ – يوماً فقال لى : « يا غُلامُ ، إنى أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللهَ يحفَظْكَ ، احفظ اللهَ تجده تُجَاهَكَ ، إذا سألت فاسْأَل الله ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله ، واعلم أن الأُمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رُفِعَت الأقلام وجفَّت الصحف » [1] .

(٤) رياضتهم على مكارم الأخلاق :

إن مكارم الأخلاق ميدان رحب فسيح ، يعنى التَّحَلِّى بكل مليح ، والتَّخَلِّى عن كل قبيح ، فيه يتنافس المتنافسون ، ويتسابق المتسابقون ، ولا غَرْوَ فى هذا ولا عجب ، فإن رسول الله – ﷺ – قد قَصَر رسالته على هذا الميدان فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، كما بلغ حَدَبُه على مكارم الأخلاق حَدَّ الثناء على المتَّصِفِينَ بها من أهل الفترة ، فَيَوْمَ أن مَرَّتْ سَفَّانة بنتُ حاتم الطائى فى السَّبْى وذكرت لرسول الله – ﷺ – جانبًا من صفات أبيها ماكان منه إلا أن أمر بإطلاق سراحها قائلا : « دعوها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » .

وعليه فينبغى على الآباء تدريب أبنائهم منذ نُعُومَة أظْفَارهم على الأَخْذِ بالحظ الأوفر والنصيب الأكبر من مكارم الأخلاق ، وتعويدهم السلوك الطيب والخُلُق الكريم ، ولا شىءَ أَنْفع فى هذا الصَّدَد من أن يكونَ الآباءُ لهم قُدْوَة حسنة ، ونماذج صالحة ، وفى هذا يقول القائل : العِلْمُ فى الصِّغَر كالنَّقْشِ – على الحجر ، والعلم فى الكِبَرِ كالنَّقْشِ على الماء .

---

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

ويقول الآخر :

وَيَنْشَأُ نَاشِىءُ الفِتْيَانِ مِنَّا عَلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ

وذلك لكى يَشِبَّ الأبناء عن الطوق مسلحين بالأخلاق الحميدة ، والصفات القويمة ، التى تعينهم على الاضْطِلاَع بِحَمْلِ أَمَانَةِ المسئولية ، وشَرَفِ الذَّوْدِ عن حياض الأمة ومقدسات الدِّين .

وحتى لا تختلطَ الأُمُورُ ، وتَتَشَعَّبَ المسائل ، وَيصْعُبَ الأَمْرُ على الآباء فضلًا عن الأبناء ، فَسَنَضَعُ الخطُوطَ العريضة التى تُعِينُ على الاغْتِرَافِ من هذا النَّبعِ الصافى ، فى إيجاز غَيْرِ مُخِلٍّ ، تَحَاشيًا للإِطْنَابِ المُمِلّ ، وذلك على النحو التالى :

١ - الاستقامة :

وتعنى السَّدَاد فى الأمر ، ولزومَ طاعة الله ورسوله ، يقول الله - تعالى : ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (١) .

وعن سفيان بن عبد الله قال : قلت : يارسول الله قل لى فى الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك ، قال : « قل آمنت بالله ثم استقم » (٢) .

٢ - بذل النصح للمسلمين :

ويتمثل ذلك فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على نحو ماهو مقرر فى كتب الشريعة ، شريطة أن يكون القائم به مُؤَهَّلًا لذلك وقادراً عليه ، فعن أبى رُقَيَّة تميم بن أَوْسٍ أن رسول الله - ﷺ - قال : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ، ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم » (٣) .

---

(١) الأحقاف : ١٣ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه مسلم .

كل ذلك مع مراعاة سَتْر عورات المسلمين وعدم إشاعتها ، وإجراء أحكام الناس على الظاهر ، وترك سرائرهم إلى الله ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ : لا يستر عبدٌ عبدًا فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » (١) .

عن أسامة بن زيد – رضى الله عنهما – قال : « بَعَثَنَا رسول الله – ﷺ – إلى الحُرَقة من جهينة ، فَصَبَّحْنَا القومَ على مياههم ، ولحقْتُ أنا ورجل من الأنصار رجلًا منهم ، فلما غَشَيْنَاه قال : لا إله إلا الله ، فَكفَّ عنه الأنصاريُّ وطَعَنْتُهُ برمحى حتى قَتَلْتُه ، فلما قَدِمْنا المدينةَ ، بلغ ذلك النبيَّ – ﷺ – فقال لى : « يا أسامة أَقَتَلْتَه بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ قلت : يارسول الله إنما كان مُتَعَوِّذًا (يقولها بلسانه لِيَنْجُوَ من القَتْل) ، فقال : « أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟! فمازال يكررها حتى تمنَّيتُ أنّى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم » (٢) .

وفى رواية : « فقال رسول الله – ﷺ : « أقال لا إله إلا الله وقتلْتَهُ ؟! قلت : يارسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح ، قال : أَفَلاَ شَقَقْتَ عن قلبه حتى تَعْلَم أقالها أم لا ؟! فمازال يكررها حتى تَمَنَّيْتُ أنى أسلمت يومئذ » .

٣ – رعاية حقوق ذوى القربى :

فيصلهم وإن قطعوه ، وتمتد يده بالعطاء إليهم وإن منعوه ، ولا ينتظر منهم مكافأة ، وذلك شرط الصلة ، فليس المكافئ بالواصل ، ويدخل فى هذا الباب بر أصدقاء الوالدين والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامهم ، فعن ابن عمر – رضى الله عنهما – أن النبى – ﷺ – قال : « إن أبر البر أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه » (٣) .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) متفق عليه .
(٣) انظر رياض الصالحين ص ١٦٦ .

٤ - رعاية حقوق الجيران والإحسان إليهم :

ويكون ذلك بالسؤال عن أحوالهم ، ومشاركتهم فى الأفراح والأتراح فى غير معصية ، وتقديم العون للمحتاج منهم ، والتلطف بذويهم من أهل وولد ، فعن عائشة - رضى الله عنها - قالت : قال رسول الله - ﷺ : « ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سَيُوَرِّثه » (١) .

وعن أبى ذَرٍّ قال : قال رسول الله - ﷺ : « يا أبا ذر ، إذا طبخت مَرَقَةً (أى طبخت شيئًا ذا مرقة من لحم وخلافه) فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ » (٢) .

والجار يشمل المسلم والكافر ، والعابد والفاسق ، والصديق والعدو ، والقريب والأجنبى ، والأقرب دارًا والأبعد ، فللجار القريب المسلم ثلاثة حقوق : حق الإسلام ، وحق القرابة ، وحق الجوار ، والجار المسلم له حقان : حق الجوار وحق الإسلام ، والجار الكافر له حق واحد : هو حق الجوار ، بهذا وردت الأخبار الصحيحة .

٥ - توقير العلماء وأهل الفضل والصلاح :

عن أنس قال : قال رسول الله - ﷺ : « ما أكرم شابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إلا قَيَّضَ الله له من يُكْرِمُه عند سِنِّه » (٣) .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله - ﷺ - : « إن من

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه الترمذى وقال حديث غريب .

إجلال الله – تعالى – أكرامَ ذى الشَّيْبَة المسلم ، وحاملِ القرآن غير الغالى فيه ، والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المقْسِط » [١] .

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده – رضى الله عنهم – قال : قال رسول الله – ﷺ – : « ليس منا من لم يرحم صغيرَنا ، ويعرف شَرَفَ كبيرنا » [٢] .

قال الشعبى : صلى زيد بن ثابت على جنازة ، فقربتُ إليه بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ، فقال زيد : خَلِّ عَنْه يابن عم رسول الله ، فقال ابن عباس : هكذا أُمِرْنَا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فَقَبَّل زيد يَدَ عبد الله بن عباس وقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا » [٣] .

٦ – التوسط فى مرافق الحياة :

ويعنى ذلك أن يأخذ العبد من الدنيا بقدر البلاغ ، فى سائر المرافق ، من مطعم ومشرب وملبس ومسكن ، ففى ذلك عون له على الالتفات إلى معالى الأمور والإعراض عن سَفْسَافِها ، فى خِفَّةٍ وَعُلُوِّ هِمَّةٍ ؛ لأن أكثر ما يُقْعِدُ الناسَ عن طِلاَبِ العلا هو رُكُونُهُم إلى زهرة الدنيا وزينتها ، والإقبال عليها إلى حد التقاتل يقول الله – تعالى : ﴿ والذين إذا أنفقوا لم يُسْرِفوا ولم يَقْتُرُوا وكان بَيْنَ ذلك قوامًا ﴾ [٤] . ويقول – عز من قائل : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدَّارَ الآخرة ولا تَنْسَ نَصِيبَكَ من الدنيا وأحْسِنْ كما أحسن الله إليك ﴾ [٥] . وعن

---

(١) رواه أبو داود ، وهو حديثٌ حسن .

(٢) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) انظر إحياء علوم الدين حـ ١ ص ٨٤ .

(٤) الفرقان ، جزء من الآية : ٦٧..

(٥) سورة القصص : ٧٧ .

عبد الله بن عمرو – رضى الله عنهما – قال : قال رسول الله – ﷺ : « قد أفلح من أسلَم ، وَرُزِق كفافًا ، وقَنَّعَهُ الله بما آتاه » [١] .

٧ – إفشاء السلام :

فالسلام هو تحية الإسلام ، وشعار المسلمين وتحيتهم فى الدنيا وفى الآخرة ، وهو مفتاح المحبة والأُلفة بين الناس ، فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ – : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا ، أَوَلاَ أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أَفْشُوا السلام بينكم » [٢] .

ويستحب أن يقول المتبدئ بالسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فيأتى بضمير الجمع ، وإنْ كان المسلَّم عليه واحدًا ، ويقول المجيب : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فيأتى بواو العطف فى قوله : وعليكم .

ويسلم الراكب على الماشى ، والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير ، ويسلم الرجل على أهله عند دخول بيته قال الله – تعالى : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ﴾ [٣] . وعن أنس قال : قال لى رسول الله – ﷺ : « يابنى إذا دخلت على أهلك فَسَلِّمْ ، يكن بَرَكَةً عليك وعلى أهل بيتك » [٤] . ولا يقول المسلِّم : سلامٌ عليكم ، ولا عليك السلام ؛ لأنها تحية الموتى ، عن أبى جُرَىٍّ الهُجَيْمِىِّ قال : أتيت رسول الله –

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة النور ، جزء من الآية : ٦١ .

(٤) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

ﷺ – فقلت : عليك السلام يارسول الله ، قال : « لا تقل : عليك السلام ، فإن « عليك السلام » تحيةُ الموْتى ، قل : السلام عليك » [(١)] .

ومن الأمور التى تعين على التحلى بكل ما سبق مايلى :

• ارتياد مجالس أهل العلم والصلاح :

ويعتمد ذلك على محبتهم ، والتودُّدُ إليهم ، ومجالستهم ، وصحبتهم بالمودة ، والبعد التام عن إيذائهم . أو إلحاق الأذى بهم ، يقول لقمان لابنه :

« يابنى اخترْ المجالس على عينك ، وإذا رأيت قومًا يذكرون الله فاجلس معهم ، فإنك إنْ تكن عالماً يَنفَعْكَ عِلْمُك ، وإن تكنْ جاهلاً يُعَلِّمُوكَ ، ولعل الله أن يطَّلِعَ عليهم برحمة فيصيبك بها معهم ، وإذا رأيت قومًا لا يذكرون الله فلا تجلسْ معهم ، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعْك علمُك ، وإن تكن جاهلاً زادُوك غيًّا أوْ عيًّا ، ولعل الله أن يطلع عليهم بعذاب فيصيبك معهم » [(٢)] .

يقول الله – تعالى : ﴿ واصبْر نفَسَك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرُطًا ﴾ [(٣)] .

• ارتياد المساجد وطول المكث فيها :

يقول رسول الله – ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ، ثم قرأ قوله – تعالى : ﴿ إنما يعمرُ مساجد الله من آمن بالله واليوم

---

(١) رواه أبو داود والترمذى .

(٢) انظر أخلاق الدعاة إلى الله ص ٢٠٤ .

(٣) سورة الكهف : ٢٨ .

الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ (١) .

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله – ﷺ : « المسجد بيت كل تَقِىٍّ ، وتَكفَّل الله لمن كان المسجد بيته بالرَّوْح والرحمة والجَوَازِ على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة » (٢) .

ذلك لأن الإنسان الذى يعتاد المسجد ويرتاده تحفُّه الملائكة ويتفضل الله عليه فيغدق عليه الخير والكرم ويضاعف له الأجر والثواب منذ خروجه من بيته حتى ينصرف من مُصَلاَّه ، فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ : « صلاة الرجل فى جماعة تُضَعَّفُ على صلاته فى بيته وفى سُوقه خَمْسًا وعشرين ضِعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسنَ الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يُخْرِجُه إلا الصلاة ، لم يخطُ خطوة إلا رُفعت له بها درجة ، وحُطَّت عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكةُ تُصَلِّى عليه مادام فى مصلاه مالم يُحْدِث (أى لم يحدث لَغْوًا) ، تقول : اللهم ارحمه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انْتظَرَ الصَّلاَةَ » (٣) .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله – ﷺ : « وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يَتْلُونَ كتابَ الله ، ويتَدَارَسُوَنَهُ بينهم إلا نَزَلَتْ عليهم السكينة وغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ ، وحَفَّتْهُم الملائكة وذكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَه » (٤) .

---

(١) سورة التوبة : ١٨ .

(٢) رواه الطبرانى والبزار .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه مسلم .

وقد كان المسجد فى صدر الدعوة الإسلامية المعبَد والمعهَد والمَعْقِل ، فيه تَطْهرُ الروح والبدن ، ويمتزج العلم بالعمل ، وتَتَّضِحُ الغَايَةُ والوَسِيلة ، ويُعْرَفُ الحقُّ وَالوَاجِب ، ويُعْتَنَى بالتربية قبل التَّعْلِيم ، وبالتَّطْبِيقِ قبلَ النظريَّات ، ومن رحابه تُجَيَّشُ الجيوشُ ، وتُوَجَّه السَّرايا ، رافِعَةً راياتِ التَّوْحِيد خَفَّاقَةً فى العالمين .

ثانيا : حقوق الآباء على الأبناء :

وكما أوصى الإسلام الآباء بالأبناء خيرًا على نحو ما سبق بيانه ، فإنه قد أوصى الأبناء بالآباء خيرًا ، حتى مع اختلاف الدين ؛ وذلك لتكون العلاقات الإنسانية أكثر ترابطاً وتراحماً ، لا تنتابها الشهوات ، ولا تعصف بها الأهواء ولا الأنواء ، ونلمح إلى جانب من هذه الحقوق فيما يلى :

(أ) حقوق الوالدين حَالَ حياتهما :

١ - الإحسان إليهما :

لقد أوصى الله - تعالى - الأبناء بالإحسان إلى الآباء فى غير موضع من الكتاب العزيز ، وَقَرَنَ ذلك بتوحيد الله والنهى عن الشرك ، كما قَرَنَ شكرَه بشكرهما ؛ لمالهما من مكانة رفيعة ، وإليك طائفة من الآيات التى يأمر الله فيها بالإحسان إلى الوالدين :

- يقول الله - تعالى : ﴿ وقضى ربك ألَّا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً ﴾ [١] .

---

(١) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٢٣ .

• وقال عز من قائل : ﴿ واعبدوا الله ولا تُشركوا به شيئًا وبالوالدين إحسانا ﴾ [(١)] .

• ويقول جل ذكره : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنسانَ بوالديه ، حملته أُمُّه وَهْنًا على وَهْن ، وفِصَالُه فى عامين أَنِ اشكُرْ لى ولوالديك إلَىَّ المصير ﴾ [(٢)] .

• ويقول تقدست أسماؤه : ﴿ وإذْ أَخذْنَا ميثاقَ بَنِى إسرَائيل لا تَعْبُدُونَ إلا الله وبالوالدين إحسانا ﴾ [(٣)] .

• وقال تعالى : ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا ، حملته أمه كُرْهًا ووضَعَتْهُ كُرْهًا ، وحَمْلُه وفِصاله ثلاثون شهرًا ، حتَّى إذا بلغ أشُدَّهُ وبَلَغَ أربعين سنةً قال رب أوزعنى أن أشكرَ نعمَتَك التى أنعَمْتَ علَىَّ وعلى وَالدىَّ وأن أَعْمَل صالحاً ترضَاه وأصْلِحْ لى فى ذُرِّيَتى ، إنِّى تُبْتُ إليكَ وَإنى منَ المسلمين ﴾ [(٤)] .

٢ - بر الوالدين :

والبر اسم جامع لخِصَال الخير ، وقد كان أنبياءُ الله ورسله القُدْوَةَ فى بر الآباء ، وتبعهم على ذلك الدَّرْبُ أهلُ الصلاح والفلاح ، يقول الله - تعالى - عن يحيى عليه السلام : ﴿ وَبَرًّا بوالديه ولم يَكُنْ جَبَّارًا عصيًّا ﴾ [(٥)] ويقول عن عيسى عليه السلام : ﴿ وبرًّا بوالدَتِى ولم يجعلْنِى جَبَّارًا شقيًا ﴾ [(٦)] .

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية : ٣٦ .

(٢) سورة لقمان : ١٤ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٨٣ .

(٤) سورة الأحقاف : ١٥ .

(٥) سورة مريم : ١٤ .

(٦) سورة مريم : ٣٢ .

وبِرُّ الوالدين مُقَدَّمٌ على الجهاد ، فعن أبى سعيد الخدرى قال : هاجر رجل من أهل اليمن إلى رسول الله – ﷺ – فقال له النبى : « هل لك أحد باليمن ؟ » قال : أبواى . قال : « أذِنَا لكَ ؟ » ، قال : لا .

قال : « فارجع إليهما فاستأذنهما ، فإن أذِنَا لك فجاهد وإلا فَبِرَّهُما » [١] . وعن طلحة بن معاوية السُّلَمِىِّ قال : أَتَيْتُ النَّبِىَّ – ﷺ – فقلت : يارسول الله ، إنى أريد الجهادَ فى سبيل الله ، قال : « أُمُّكَ حَيَّةٌ ؟ » قلت : نعم . قال : « الزَمْ رِجْلَهَا فَثَمَّ الجنة » [٢] .

وبر الوالدين واجب ولو كانا كافرين : يقول الله – تعالى : ﴿ وإنْ جاهداك على أن تُشرك بى ماليس لك به علم فلا تُطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفاً ﴾ [٣] .

والشريعة الإسلامية تقرر للوالدين الكافرين جميع حقوق البر والصلة والإحسان ، فيما عد الكفر والمعاصى ؛ إذْ لاَ طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . عن عبد الله بن الزبير قال : قَدِمَتْ « قُتَيْلَةُ » على ابْنِتَها « أسماء بنت أبى بكر » ، وكان أبو بكر طَلَّقَهَا فى الجاهلية ، فقدمت على بنتها بهدايا ، فَأَبَتْ « أسماءُ » أن تقبلَ منها ، أو تُدْخِلَهَا مَنْزِلَهَا حتى أرسَلَتْ إلى عائشةَ أن تسأل عن هذا رسول الله ، فأخبرته ، فأمرها أن تقبل هَدَايَاهَا ، وتُدْخِلَهَا مَنْزِلَها ، فأنزل الله قوله : ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يُقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبَرُّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [٤] . أخرجه أحمد والبزار والحاكم فى صحيحه .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) سورة لقمان ، جزء من الآية : ١٥ .
(٤) سورة الممتحنة : ٨ .

والأم مقدمة فى البر على الأب :

عن أبى هريرة قال : « جاء رجل إلى رسول الله – ﷺ – فقال : يارسول الله مَنْ أحق الناس بِحُسْنِ صحابتى ؟ قال : أمُّك . قال : ثم من ؟ قال : أمُّك . قال : ثم من ؟ قال : أمُّك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك » [١] .

ولبر الوالدين أنواع كثيرة نوردها فيما يلى :

لين القول لهما :

ويدخل ضمن ذلك : عدم رفع الصوت فى خطابهما ، وعدم تسمية أى منهما باسمه ، يقول الله – تعالى : ﴿ واخْفِضْ لهما جناح الذُّل من الرحمة ﴾ [٢] .

توقيرهما :

فينبغى عدم النظر إليهما شزراً ، وعدم المشى أمامهما ، وعدم الجلوس قبلهما ، عن أبى هريرة أنه أُبصَرَ رجلين فقال لأحدهما : ماهذا مِنْكَ ؟ قال : أبى . فقال أبو هريرة : « لا تسمِّه باسمه ، ولا تَمْشِ أمامه ، ولا تجلس قبله » [٣] .

الإنفاق عليهما عند الحاجة :

عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل إلى النبى – ﷺ – فقال : يارسول الله ، إن أبى أخذ مالى ، فقال النبى : فَأْتِنِى بأبيكِ ، فنزل جبريل على النبى فقال : إن الله – عز وجل – يُقْرِئُكَ السلام ويقول لك : إذا جاءك الشيخ فاسأله

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٢٤ .

(٣) أخرجه البخارى فى الأدب والبيهقى وابن السنى .

عن شيء قاله فى نفسه ما سَمِعَتْهُ أُذُنَاه ، فلما جاء الشيخ قال له النبى – ﷺ : مابال ابنك يشكوكَ ؟ أتريد أن تأخذ ماله ؟

فقال : سَلْهُ يارسول الله ، هل أنفقتُه إلا على إحدى عماته أو خالاته أو على نفسى ؟

فقال رسول الله – ﷺ : إيه ، دعنا من هذا ، أخبرنى عن شيء قلْتَه فى نفسك ما سَمِعَتْهُ أُذُنَاكَ .

فقال الشيخ : والله يارسول الله مازال الله عز وجل يزيدنا بكَ يقيناً ، لقد قلت فى نفسى شيئًا ما سمعَته أُذُنَاى .

قال : قل وأنا أسمع .

قال : قلت :

غَـذَوْتك مولـودًا ومُنْتُكَ يافعًـا ... تُعَلُّ بما أَجْنِى عليك وتَنْهَـلُ
إذا ليلة ضاقتك بالسُّقْمِ لم أَبِتْ ... لِسُقْـمِكَ إلّا سَاهِـرًا أتمَلْمَـلُ
كأنى أنا المطْرُوقُ دُونَكَ بالذى ... طُرِقْتَ به دونى فَعَيْنَىَّ تَهْمَـلُ
تخافُ الرَّدَى نَفْسِى عليك وإنَّها ... لَتَعْلَـمُ أن الموتَ أمْرٌ مُؤَجَّـلُ
فلما بلغْتَ السِّنَّ والغَايَةَ التـى ... إليْها مَدَى ماكُنْتُ فِيك أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جَزَائِـى غِلْظَـةً وفَظَاظَـةً ... كَـأنكَ أَنتَ المُنْعِـمُ المتَـفَضِّلُ
فَلَيْتَكَ إذْ لم تَرْعَ حَقَّ أُبُوَّتِى ... فَعَلْتَ كما الجَارُ المجَاوِرُ يَفْعَلُ
فَأَوْلَيْتِنِى حَقَّ الجِوَارِ وَلَمْ تكُنْ ... عَلَـىَّ بمالٍ دُونِ مـالك تَبْخَـلُ

قال : فحينئذ أخذ النبى بتلابيب ابنه وقال : « أنت ومَالُكَ لِأَبيكَ » (١) .

---

(١) انظر القرطبى ٢٤٦/١٠ .

الدعاء لهما :

يدعو لهما بكل خير ، وأفضل الدعاء طلب الرحمة لهما من الله بأن يقول في دعائه لهما ما حكاه القرآن الكريم : ﴿ وقل رَبِّ ارحمهما كما رَبَّيانى صغيرًا ﴾ [(١)] .

ومن الأمور التى تُعِينُ الوَلَدَ على بِرِّ أبويه ما أشَارَ إليه أميرُ المؤمنين عمر ابن الخطاب حينما سأله أحدُ الأبناء : ماحق الولد على أبيه ؟

فقال له : أن يَنْتَقِىَ أُمَّه ، ويُحَسِّنَ اسْمَه ، ويُعَلِّمَه القرآن .

وهذه صور من صور البَرَرَة :

• حارثة بن النعمان :

عن عائشة قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « دخلت الجنةَ فَسَمِعْتُ فيها قِرَاءَةَ فقلت : من هذا ؟ قالوا : حارِثَة بنُ النُّعْمَانِ كَذَلِكُمُ البَرّ ، كذلكم البر وكان أبَرَّ الناس بأمه » [(٢)] .

• القاضى إياس :

لما ماتت أمه بكى عليها ، فقيل له فى ذلك ، فقال : كان لى بابان مفتوحان إلى الجنة فأُغْلِقَ أحدهما .

• على بن الحسين :

كان من أبر الناس بأمه ، ومع هذا فقد كان لا يأكل معها فى صحفة ،

---

(١) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٢٤ .

(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .

فقيل له : إنك من أبر الناس ولا تأكل مع أمك فى صَحْفَة ؟ فقال : أَخافُ أَنْ تَسْبِقَ يَدِى يدَهَا إلى مَا تَسْبِقُ إليه عَيْنَاهَا فأكونُ قَدْ عَقَقْتُهَا .

٣ – البعد عن عقوقهما :

فقد نهى الإسلام عن عقوق الوالدين وإلحاق الأذى بهما ، نفسيًّا كان ذلك الأذى أو معنويًّا أو ماديًّا ، قولًا كان أو فعلًا ، وعَدَّهُ من الكبائر ، وعَدَّ مرتكبيه من شِرَارِ الناس ، وتوَعَّدَهُم الله بألَّا ينظرَ إليهم يومَ القيامة ، كما حَرَّمَ عليهم الجنة ، ولا يقبَلُ الله صلاتَهم وعبَادَتهم .

وهذه طائفة من الأخبار التى توضح لنا تلك الصورة وتجليها :

• عن ابن عباس قال : قال رسول الله – ﷺ : « شَرُّ الناس ثلاثة : متكبر على والديه يَحْقِرُهُما ، ورجل سعى بين الناس بالكَذِبِ حتى يَتَبَاغَضُوا ويَتَبَاعَدُوا ، ورجل سعى بين رجل وامرأته بالكذب حتى يُغَيِّره بِغَيْرِ حق حتى فَرَّقَ بينهما ، ثم يَخْلُفُه عليها من بَعْدُ » (١) .

• عن أنس قال : ذكر رسول الله – ﷺ – الكبائرَ فقال : « الشرك بالله وعقوقُ الوالدين » (٢) .

• عن ابن عمر قال : قال رسول الله – ﷺ : « **ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاقُّ والديه ، والدَّيُّوث ، والرَّجِلَةُ من النساء (أى التى تشبه فى سلوكها سلوك الرجال)** (٣) .

---

(١) رواه أبو نعيم .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه النسائى والبزار .

● عن أبى أمامة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « ثلاثة لا يقبل الله - عز وجل - منهم صَرْفًا ولا عَدْلاً : عاقٌّ ، ومنَّانٌ ، ومُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ » [١] .

● عن ثوبان قال : « ثلاثة لا ينفع مَعَهُنَّ عَمَل : الشِّرك بالله ، وعُقُوق الوالدين ، والفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ » [٢] .

● عن أبى بكر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ : « كل الذنوب يؤَخِّرُ الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يُعَجِّلُ لصاحبه فى الحياة قبل الممات » [٣] .

(ب) حقوق الوالدين بعد وفاتهما :

لا يقتصر الإحسان إلى الوالدين والبر بهما على حال حياتهما ، وإنما يمتد ليشملهما حتى بعد وفاتهما ، مُمَثَّلاً فى إتمام ما أَبْرَمَاه من صَفَقَات ، أو قَطَعَاه من عهود فى الخير ، وكذلك الدُّعَاءُ لهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلَّا بهما ، ففى كل ذلك اسْتِدَامَةٌ لهما ، وزيادة فى استمرار الخير والإحسان إليهما .

ومن أجمع الوصايا فى ذلك ما رواه أبو أُسَيْد مالك بن ربيعةَ السَّاعِدِىّ قال : « بينما نحن جلوس عند رسول الله - ﷺ - إذْ جَاءَهُ رجل من بنى سَلَمَةَ فقال : يارسول الله هل بقَىَ من بِرِّ أَبَوَىَّ شىءٌ أَبَرُّهُمَا به بعدَ موتهما ؟ قال :

---

(١) رواه ابن أبى عاصم .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه البخارى والطبرانى والحاكم .

نعم ، الصلاةُ عليهما ، والاستغفارُ لهما ، وإنْفَاذُ عَهْدِهِما من بَعْدِهِما ، وصِلَةُ الرَّحِم التى لا تُوصَلُ إلا بِهِمَا ، وإكرامُ صَدِيقِهِما »[1] ، وزاد ابن حبان : « فقال الرجل : ما أَكْثَرَ هذا يا رسول الله وأَطْيَبَه ! قال : فَاعْمَلْ به » .

* * *

---

(١) رواه أبو داود .

الفصل الخامس

منهج الإسلام فى تربية الشباب

(أ) أسس هذا المنهج :

لقد وضع الدين الإسلامى الحنيف منهجًا كاملًا لتربية الشباب ، يقوم هذا المنهج على أساس متين من التخطيط الجيد والتنسيق السليم ، كما أن هذا المنهج يصاحب الوليدَ مُنْذُ كان أملًا يَجُولُ فى خاطر والديه ، وحُلْمًا يُرَاوِدُ أفكارَهُمَا ، إلى أن يُصْبِحَ رجلًا يعتمد عليه فى شئون الحياة ، ويَتَجَلَّى ذلك المنهج فى تلك الدَّعَوَاتِ الخالصة ، والرَّجَوَاتِ الصَّادِقَه الطَّيِّبة ، يقول الله – تعالى : ﴿ والذين يقولون ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذُرياتنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ واجعلنا للمتقين إمامًا ﴾ [١] .

ويقول عَزَّ من قائل : ﴿ ربِّ هَبْ لى من الصالحين ﴾ [٢] .

ويقول جل ذكره : ﴿ ربِّ أَوْزِعْنِى أن أَشْكُرِ نِعْمتَكَ التى أَنْعَمْتَ علَيَّ وعلى والدَيَّ وأن أعملَ صالحاً تَرْضَاه وأَصْلِحْ لِى فى ذُرِّيَّتِى ، إِنِّى تُبْتُ إليك وإِنِّى من المسلمين ﴾ [٣] .

فدُسْتُورُ المسلمين – شِيباً وَشُبَّانًا – هو القرآن الكريم ، الذى وصَفَه ربُّ

---

(١) سورة الفرقان : ٧٤ .

(٢) سورة الصافات : ١٠٠ .

(٣) سورة الأحقاف ، جزء من الآية : ١٥ .

العالمين بقوله : ﴿ ونَزَّلْنا عليكَ الكتاب تِبْيَانًا لكل شىء وهُدًى ورحمة وبُشْرَى للمسلمين ﴾ [١] .

وتَتَجَلَّى الأسْوَةُ الحَسَنَةُ والقُدْوَةُ الطَّيِّبَةُ فى شَخْصِ رسول الله – ﷺ – وفى سُنَّتِه الطهور ، يقول الله – تعالى : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمن كان يَرْجُو اللهَ واليومَ الآخِرَ وذكَرَ الله كثيرًا ﴾ [٢] .

فلقد كان رسول الله – ﷺ – التَّطْبِيقَ العَمَلِىَّ ، والتَّجْسِيدَ الحَىَّ للقرآن الكريم ، فكان كما وصفته السيدة عائشة – رضى الله عنها – وقد سُئِلَتْ عن خُلُقه فقالت : كان خُلقه القرآن .

(ب) أهم أهداف هذا المنهج :

يهدف منهج الإسلام فى تربية الشباب بصفة عامة إلى مافيه خَيْرُهُم فى الأولى والآخرة ، بتربيتهم دينيًّا وسلوكيًّا وعَمَليًّا واجتماعيًّا ، مع إبْرازِ الصُّوَرِ المثالية للشباب النَّابِه ، ومقابلتها ببعض الصور غير السَّوِية لتَتَّضِحَ صورة الاستقامة أمامهم فيتمسكوا بها ، كل ذلك من خلال المنهج السليم الذى أشرنا إليه من قبل .

أما أهداف هذا المنهج تفصيليًّا فتتمثل فى المحاور التالية :

١ – العمل على صَلاَح العقيدة .

٢ – العمل على صَفَاءِ الذهن .

٣ – العمل على التَّزَوِدِ بالحجة المقْنِعَة .

---

(١) سورة النحل ، جزء من الآية : ٨٩ .

(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .

وفى ذلك يقول الله – تعالى : ﴿ نحن نقصُّ عليك نبأهُم بالحق ، إنهم فتية آمنوا بربهم وزِدْنَاهُمْ هُدًى * ورَبَطْنَا على قلوبهم إذْ قاموا فقالوا ربنا ربُّ السمٰواتِ والأرض لنْ ندعُوَ من دونه إلٰهاً لقد قلنا إذًا شَطَطًا * هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلِهَة ، لولا يأتون عليهم بسلطان بَيِّن ، فَمَن أظلمُ مِمَّن افْتَرى علىَ الله كَذِبًا ﴾ [1] .

(جـ) ملامح المنهج الإسلامى فى تربية الشباب :

نستطيع تقديم صورة واضحة السِّمات ، ظاهرة القَسَمَات ، لمنهج الإسلام فى تربية الشباب من خلال توضيح الجوانب التربوية السليمة التى وردت فى وصية لقمان الحكيم لابنه ، وهى وصية جامعة ، جاء بيانها فى قول الله – تعالى – : ﴿ وإذْ قال لقمان لابنه وهو يَعِظُهُ يا بُنَىَّ لا تُشْرك بالله إن الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عظيم * ووصينا الإنسان بوالديه حملته أُمه وهنًا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلَىَّ المصير * وإنْ جاهداكَ على أن تُشرك بى ماليس لكَ به عِلْمٌ فلا تُطعْهُما وصاحِبْهُمَا فى الدنيا معروفًا ، واتبع سبيلَ من أناب إلَىَّ ، ثم إلَىَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * يا بُنَىَّ إنها إنْ تَكُ مثقالَ حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السمٰاوات أو فى الأرض يأتِ بها الله ، إن الله لطيف خبير * يابنى أَقِمِ الصلاة وَأْمُرْ بالمعروف وَانْهَ عن المنكر واصْبِرْ على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور * ولا تُصَعِّرْ خدَّكَ للناس ؛ ولا تَمْشِ فى الأرض مَرَحًا ، إنَّ الله لا يحب كل مختال فخور * وَاقْصِدْ فى مشيك واغضض من صوتك ، إنَّ أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ [2] .

---

(١) سورة الكهف : ١٣ – ١٥ .

(٢) سورة لقمان : ١٣ – ١٩ .

إنها صورة جَذَّابَةٌ رائعة ، ومنهجٌ سديد ، سَاقَهُ اللهُ على لِسَانِ رجُلٍ صالح يَنْشُدُ لولده الكمالَ البشرى ، ويَبْتَغِى له الفلاحَ الإنسانى ، ويَهْدِيه إلى الصِّرَاطِ المستقيم ، هو وأَمْثَالَه من الشباب ، فأَكْرِمْ بها وأَنْعِمْ من وَصِيَّةٍ مُهْدَاةٍ من جيل الآباء إلى أَجْيَال الأبناء ، وقد اشتملت تلك الوصية الجامعة على جوانبَ عظيمة فى التربية والتوجيه ، فهى بحق وصدق نِبْرَاسٌ للمُرَبِّينَ ، ودُسْتُورٌ للدعاة والمرشدين ، فضلا عن توجيهها لِلْوَالدَيْن .

وقد تضمنت هذه الوصية الجوانب التربوية التالية :

أولًا : جانب العقيدة :

فإخلاص العقيدة ، وإسلام الوجه لله ، هو أساس التربية السليمة ، ذلك لأن الله هو المعْبُودُ بِحَقٍّ ، وهو الذى لا يَخْفَى عليه ولا يُعْجِزُهُ شَىْءٌ فى الأرض ولا فى السماء ، فَلُقْمانُ حِينَما يُوصِى ابْنَه بِذلك يُبَيِّنُ له السَّبَبَ من ورائه فيقول : ﴿ إن الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيم ﴾ حيث يسوى المشْرِكُ فى عبادته وفى عقيدته مَنْ لا يملك شيئًا بِمَنْ بِيَدِه ملكوتُ كلِّ شىء ، وهذا من أَبْشَعِ الظلم وأَفْحَشِهِ ، فالظلم فى حقيقته يَعْنِى وَضْعَ الحَقِّ فى غيرِ نِصَابه ، وصَرْفَ العبادَةِ لغير الله ، ولقد صور القرآن الكريمُ الشركَ بالتَّرَدِّى والهَوَانِ ، يقول الله تعالى : ﴿ ومن يُشْرِك بالله فكأنما خَرَّ من السماء فتخطفه الطيرُ أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾ [1] . فكأن هذه الصورة توحى بأن من أشرك فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه من إهلاك ، حيث صوَّرت حالَه بحال شىء خَرَّ من السماء فاخْتَطَفَتْه الطير فَتَفَرَّق قطعاً فى حواصلها ، أو عَصَفَتْ به الريح حتى هَوَتْ به فى المَهَالِكِ البعيدة ، أو أنه شَبَّهَ الإيمان بالله فى عُلُوِّه بالسَّماء ، والمشرك بالشىء السَّاقِطِ من

---

(١) سورة الحج ، جزء من الآية : ٣١ .

السماء ، والأَهْوَاءِ المُرْدِيَة التى تُوَزِّعُ أفكَارَهُ وتُشتِّتُها بالطير المختطفة ، والشيطان الذى يُوقِعُهُ فى الضلال بالرِّيح التى تَهْوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة .

ثانيًا : جانب العمل :

١ - إقامة الصلاة :

فهو يأمره ثانيًا بإقام الصلاة تحقيقاً للصلة الدائمة بالله ، فهى بَاكُورَةُ ثِمَارِ الإيمان بالله ، وذلك لما لها من فوائد جَمَّة ، فهى تَنْهَى صاحبَها المخلصَ بها عن الفحشاء والمنكر ، يقول الله - تعالى : ﴿ إن الصَّلاَةَ تَنْهَى عن الفَحْشَاءِ والمنكر ، ولَذِكْرُ الله أكبر ، والله يَعْلَمُ مَاتَصْنَعُونَ ﴾ (١) .

٢ - أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر :

وحينما يتحلى العَبْدُ بهذه الصفة فإنه يُسْهِمُ إسْهَامًا إيجابيًّا وفِعْليًّا فى تقديم الخير للمجتمع ، حَضًّا على الصَّلاح ، ودفعًا للشر والفساد ، وتلك صفة استأهلت بها أمة الإسلام المكانة المعتدلة والمرموقة بين الأمم ، فى أعظم شهادة سجلها القرآن الكريم ، يقول الله - تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أُخْرِجَتْ للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٢) .

٣ - التحلى بالصبر الجميل :

فعلى المرء أن يصبر على كل مكروه يصيبه فى نفسه أو ماله أو أهله من جَرَّاءِ الدعوة إلى الخير أَثْنَاءَ عُبُورِه قَنطَرَةَ الدنيا ورِحْلَةَ الحَيَاة ، فالتَّحَلِّى بالصبر من فِعْلِ ومن شِيَمِ أصحاب العَزَمَاتِ الصادقة ، ﴿ إن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

---

(١) سورة العنكبوت ، جزء من الآية : ٤٥ .
(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١١٠ .

ثالثاً : جانب السلوك العام :

فقد تضمنت تلك الوصية أيضًا ما ينبغى على الشاب أو الفتى أن يتحلى به من خُلُق حِيَالَ والديه ، وحَيالَ المجتمع الذى هو لَبِنَةٌ من لَبِنَاتِه ، وذلك على نحو مايلى :

١ - بر الوالدين :

وقد سبق لنا بيان ذلك فى الفصل السابق بشىء من الإسهاب .

٢ - السلوك السوى فى المجتمع :

ولتحقيق هذا الهدف فإنه يوصيه بما يلى :

(أ) عدم الإعراض عن الناس أو التعالى عليهم :

فلا ينبغى أن يَتَبَجَّحَ أو يَتَوَقَّحَ فى معاملة الناس زاعمًا فَضْله عليهم : ﴿ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للناس ﴾ تشبيه لهذه الهيئة الزَّرِيَّة بحال البعير الذى أُصيب بالصُّعَار ، وهو داء يصيب البعير فى عنقه فيلويه من جَرَّاءِ هذه العِلَّةِ ، فكأن الذى يُشِيحُ بوجهه عن الناس تكبرًا إنما هو إنسان مريض بداءٍ خطير .

(ب) البعد عن الزَّهو والخيلاء :

فلا يتجبر ولا يتكبر ولا يغتر ، وعليه بأن يقصد فى مشيه بحيث يكون وَئِيدَ الخَطْوِ لا مُنْتَفِخاً ولا أَهْوَجَ فى سيره ؛ لأنه مهما تكبر أو تجبر فى سيره فلن يؤثر فى الأرض التى يسير عليها ، ﴿ إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ [١] .

---

(١) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٣٧ .

(جـ) تجنب إزعاج الناس بالأصوات المرتفعة :

فلا يَصِيحُ أو يُصْدِرُ أَصْوَاتًا كَرِيهَةً من شأنها إقْلاَقُ النَّاسِ وَإزْعَاجُهُمْ ، سواء أكان يُصْدِرُ هذه الأَصْوَاتَ بنفسه أو بآلة ، كالمذياع والتِّلْفَازِ وما شابه ذلك ، أو بما يصدر عن المركبات والدَّرَّاجَات من أصوات مُنَفِّرَةٍ بِغَيْرِ دَاعٍ أو ضرورة ، وبخاصة فى الأماكن التى يحتاج أَهْلُهَا إلى مزيد من الراحة والعناية ، كالمستشفيات والمدارس وما شابهها ، وقد عدت الوصية هذه الصور الصوتية المنفرة والمقِيتَةَ شَبِيهَةً بأَصْواتِ الحَمِيرِ .

وأنت ترى مما تقدم أن هذه صورة جدية ونموذج عملى يجب على الآباء أن يطبقوه ويجسِّدوه لكى يصير واقعاً عمليًّا ، إنْ هم أرادوا خيرَ أنفسهم وخير أبنائهم .

(د) اهتمام الإسلام بجوانب التربية الأخرى :

أولًا : تنمية المهارات الذِّهْنِيَّة والعقلية :

فالإسلام لم يُغْفِل الجانِبَ العقلى لَدَى النَّشْءِ ، بل أَوْلاَه كبيرَ عِنَايَتِهِ ؛ ذلك لأن الشباب دائمًا فى حاجة إلى غِذَاءٍ عَقْلِى ، من الفكر المنظم والحِوَار الهادئ ، وعليه فإن القرآن الكريم يُطالعنا بنماذج مُشَرِّفَةٍ ، وألوانٍ من الحوار ، كما دار بين خليل الرحمٰن إبراهيم عليه السلامُ ، وبين النمرود الكافر ، المتطاول على مقام الألوهية ، وهو حِوَارٌ شَائِقٌ ، يقول الله – تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذى حاجَّ إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذْ قال إبراهيم ربى الذى يُحْيِى ويميت ، قال : أنا أُحْيِي وأُميت قال إبراهيم : فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فَأْتِ بها من المغرب فَبُهِتَ الذى كفر ، والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ (١) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٨ .

فأنت ترى فى هذا الحوار مُجَادَلَةَ الخَصْمِ بالحُجَّةِ تِلْوَ الحُجَّةِ ، والدليلِ تِلْوَ الدليل ، ومُحَاصَرَته فى غَيْرِ لَغَط أو تَشَعُّبٍ فى القضية الأصلية . فالإسلام قد بين المنهج السديد للرد على خصوم الإسلام وأعداء الدين ، ومجادلتهم بالحسنى ، ونحن اليوم أحوج مانكون للأخذ بهذا المنهج ؛ ذلك لأننا نعيش عصرًا يموج بالآراء المذهبية والتيارات الفكرية ، التى يكاد يربطها خَيْطٌ واحد ، وهو مُنَاوَأَةُ الإسلام ، حيث يَتَفَانَى فى نَشْرِها أَشْخَاصٌ مُتَحَمِّسُونَ لها ، ويعينهم على هذا وسائل الإعلام الحديثة .

وعليه فقد باتَ لزامًا على كل مُرَبٍّ وكل أب وكل داع إلى الله أن يعمل على تحصين النشء المسلم ضِدَّ هذه التيارات ، عن طريق إِلْمَامِهِ بالحقيقة الإيمانية ، وكيفية التعبير المرتب ، لكى يستطيع الصُّمُودَ أَمَامَ هذا العُبَاب المتلاَطِم الذى يموج بالأَنْوَاء .

ثانيًا : العناية باللِّيَاقَةِ البدنية :

فدعوة الإسلام إلى الاهتمام باللياقة البدنية منبثقة من دعوته العامة إلى الأخذ بأسباب القوة بشتى صورها ، سواء أكان ذلك فى جانب العقيدة أو فى الجانب البدنى والروحى ، كالسباحة والرماية وركوب الخيل وغيرها ، شريطة أَلَّا تكون مدعاة لتفريط فى عبادة ، أو تضييع لحق ، أو نكال على الناس ، ولقد كان رسول الله – ﷺ – يحضر أمثال تلك الرياضات ، بل ويشجع القائمين بها ، فقد مر على مجموعة من الشباب أثناء تدريبهم على الرماية وكانوا فريقين ، فانْضَمَّ إلى أحدهما وقال لهم : « ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميًا ، ارموا وأنا مع بنى فلان » فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال لهم النبى : « مالكم لا ترمون ؟ » قالوا : كيف نرمى وأنت معهم ؟ فقال : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

وقد روى البيهقى أن عمر – رضى الله عنه – قال : « علموا أولادكم السباحة والرماية ، ومروهم فَلْيثِبُوا على ظهور الخيل وثْبًا » .

فالرياضة تعود على الشخص بالفوائد الجمة ، ثقة بالناس والنفس ، وهما أهم عوامل النصر متى اجتمع إليهما الاستقامة وحسن الخلق ، ولا شك أن تعويد النشء على الرياضات المفيدة فى سن مبكرة يكون أفضل منه فى حال تقدم السن .

ثالثًا : إعداد الفتاة نفسيًّا للتحول إلى بيت الزوجية :

١ – التأكيد على تعلمها الدين :

فالدين يغرس فى نفس المرأة الشرف والكمال ، فهى بالدين تغضُّ بصرها ، وتحفظ فرجها ، ولا تبدى من زينتها إلا ما ظهر منها شرعًا ، وهى بالدين تُدْنِى عليها من جلابيبها ، وذلك أدنى أن تُعرَف فلا تُؤذى ، وهى بالدين لا تخضع بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وهى بالدين تنبذ المساحيق والطلاءات المغَيِّرة لخلق الله ، وهى بالدين تُنَشِّئُ الأَجْيَالَ الصَّالحة ، التى تتمثل فيها قوة الإسلام ، والتى تأبى الدَّنِيَّة للأوطان ، فَأَرْفِقُوا بها وَرُوضُوها (من الترويض) على كتاب الله ، فَيَوْمَ تكون المرأة عَالِمَةً بأُمُورِ دينها ، حَافِظَةً كِتَابَ ربها ، مُسْتَوْعِبَةً سُنَّةَ نبيها ، يعود للمجتمع وجهه المشرق ، فَيَصُونُهَا بَيْنِ الجُفُونِ والأَحْدَاقِ ، وتَعُودُ لِبُيُوتِ المسلمينَ المَودَّةُ والرَّحمة – بعد طُولِ غِيَاب . ﴿ ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وَعْدَ الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [1] .

---

(١) سورة الروم ، آخر الآية الرابعة ، ثم الآيات ٥ و ٦ و ٧ .

٢ - تزويدها بالنصائح المفيدة والتوجيهات السديدة :

يجب أن تَحْظَى الفَتَاةُ بِرِعَايَةِ أَهْلِهَا ، وبخاصة الأم ، أَثْنَاءَ الفترة التى يَتِمُّ فيها الارتباط بالخطيب ، وحتى تنتقل إلى عُشِّ الزَّوْجِيَّة ، فتزوِّدُها بكل ما مِنْ شأنه تَحْصِينُ الأُسْرَةِ المُرْتَقَبَةِ ضِدَّ أَىِّ هزات أو تقلبات ، فَتُعَدُّ الإِعْدَادَ النَّفْسِىَّ السَّلِيم ، فى إطارِ المبادىء التالية :

(أ) تلقين النصائح المفيدة .

(ب) التَّزَوُّد بِخِبْرَةِ الأهل عن حُرُمَات البيوت وأسرارها .

(جـ) تلقين واجباتها حِيَالَ الزوج كزوجة ، وحِيَالَ الأبناء كأم حَانِيَةٍ .

(د) تُبَصِّرُهَا بِضَخَامَةِ الْمَسْئُولِيَّةِ وعدم التَّفْرِيطِ فيها .

ومما لا شك فيه أن هذه التوجيهات ستؤتى أطيب الثمرات ، إذا ما نَبَعَتْ من إخلاص النية ، واعتمدت على أساس من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، أما إذا اعتمدت على النظرة القاصرة ، والجشع ، وحبُّ التملك والأَثَرَةِ والأنانية ، وإغراق الزوج بما لا طاقة له به ، وتَكْبِيلُهُ بِشَتَّى القُيُود ، فإنها سَتَبُوءُ بالفَشَل وأَوْخَمِ العَوَاقب ، قَصُرَ المَدَى أَمْ طَال ، ولعَلَّ السَّبَبَ الرئيسى وراء فشل الكثير من الزِّيجَاتِ إنما يرجع فى الغالب الأعم إلى هذه التَّلْقِينَاتِ الخاطئة ، والإعداد السَّقِيم للفَتَيَاتِ فى مثل هذه المرحلة الحَرِجَة من أَعْمَارِهِن ، والمؤسسة على النظرة المادية البَحْتَةِ ، وعَدَمِ وضع الأُمُور الدينية فى ميزانها الصحيح .

٣ - نماذج من نصائح الأمهات والآباء للفتيات :

لقد كانت الأمهات - حتى فى الجاهلية - يقمن بأداء هذا الواجب خير قيام ، بل وكان الآباء يقومون به أيضًا عند فقد الأمهات ؛ لأن فيه تَوَاصُلَ الأجيال .

وسأعرض فيما يلى بعض هذه الدرر الغالية :

(أ) وصية امرأة عوف بن مُحَلِّم الشيبانى لابنتها :

خطب عمرو بن حجْر (جد امرئ القيس الشاعر) أمَّ إياس ابنة عوف ابن محلِّم الشيبانى ، وعندما أرادت أن ترحل إلى بيته أوصتها أمها هذه الوصية الجامعة فقالت :

أى بُنيَّة : إنك فارقتِ بيتك الذى منه خرجْتِ ، وعُشَّكِ الذى فيه دَرَجْتِ ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فكونى له أَمَةً يكن لك عبدًا ، واحفظى له خصالًا عشرًا يكن لك ذخرًا :

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحُسْن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتَّفَقُّدُ لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منكِ على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت طعامه ومنامه ، فإن تَوَاتَرَ الجوْعِ مَلْهَبَةٌ (أى يثير الغضب كاللهب) ، وتَنْغِيصَ النوم مَغْضَبَةٌ .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرْعَاءُ على حَشَمِه وعِيَاله ، ومِلاَكُ الأَمْرِ فى المال حُسْنُ التَّقْدِير ، وفى العيال حسنُ التدبير .

وأما التاسعة والعاشرة : فلا تعْصِيِنَّ له أمرًا ، ولا تُفْشِينَّ له سرًّا ، فإنك إن عصيت أمرَه أَوْغَرْتِ صَدْرَه ، وإن أَفْشَيْتِ سِرَّه لم تأْمنِى غَدْرَه ، ثم إياك والفَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ إذا كان مُهْتَماً (أى أصابه الهم) ، والكآبَةَ بين يديه إذا كان فَرِحًا [1] .

---

(١) انظر أدب البنت ص ٤٤ .

ونحن نرى أن هذه الوصية تفيض رِقّةً وَعُذُوبةً ، وإخلاصَ نُصح وصِدْق قَوْل ، فتلك الأم حريصة على وضع النقاط على الحروف أمام ابنتها ، فقد قدمت لها خلاصة تجربتها فى الحياة الزوجية ، لكى تُبَصِّرها بدورها الحقيقى والمُرْتَقَب ، و لم تُسْرِف لها فى مَعْسُول القول ، كما هو شأن النساء اليَوْم ، اللاتى يحاولن ترسيخ مفهوم النِّدِّيَّة للرجل فى أذهان بناتهن ، وأن يكون تعاملهن مع الرجال على قدم المساواة ، وإلَّا فإنهن سيصبحن مَهِيضَاتِ الجناح ، مَهْضُومَاتِ الحقوق ، مَغْلُوبَاتٍ على أَمْرِهِنَّ ، وكَأَنَّ الفتاة سَيُزَجُّ بها إلى ساحات الوَغَى ، ومَعَامِعِ القتال ، مما بات يهدد الأسرة بأوخم العواقب ، فليت أمهات اليوم يتأسَّين بأمهات الأمس ، ويجوِّدنَ تلك الوَصِيَّةَ ويَنْطَلِقْنَ بها قُدُمًا إلى الأمام ؛ ليُحَقِّقْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ الطُّمَأْنِينَةَ ، ولِفَتَيَاتِهِنَّ الاستقرار ، بَدَلاً من إِصْغَائِهِنَّ إلى الفِكْرِ الوافد الدَّخِيل ، الذى أظهَرَتِ التجربة زَيْفَهُ ، ولكنهن مع هذا مازِلْنَ مُصِرَّاتٍ على الظَّفَرِ من الماء بالزُّبْدِ .

(ب) وصية أسماء بن خارجة الفزارى :

إذا كان المألوف والمعهود أن تقدم تلك الوصايا للفتيات من الأمهات ، فإن الآباء يقومون بهذا الدور عند فقد الزوجات ، فهذا الرجل قد أوصى ابنته هندًا ليلة زفافها إلى الحجاج بن يوسف الثقفى ، فقال لها : يابنية : إن الأمهات يؤدبن البنات ، وإن أمك قد هلكت وأنت صغيرة ، فافهمى ما أقول لك :

عليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحسن الكحل ، وإياك وكثرة المعاتبة فإنها قطيعة للود ، وإياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق ، وكونى لزوجك أَمَةً يكن له عبدًا ، واعلمى أنى القَائِلُ لِأُمِّكِ :

خذى العفوَ عنى تَسْتَدِيمِى مَوَدَّتى ... ولا تنطقى فى سَوْرَتى حينَ أَغْضَبُ

ولا تَنْقُرِينى نَقْرَةَ الدُّفِّ مَــرَّةً ... فإنك لا تَدْرِينَ كيف المُغَيَّبُ ؟

فإنى وجدت الحبَّ فى الصدر والأذَى ... إذا اجتمعَا لم يَلْبَثِ الحُبُّ يَذْهَبُ

فقبلت هند من أبيها وصيته ، وكان الحجاج يصفها فى مجلسه بكل خير [١] .

ليتنا نسلط الضوء على مافى تراثنا من هذه المُقْتَنَياتِ ، ونقدمها لأبنائنا وبناتنا ، ونرددها على مسامعهم صباحَ مساءَ ؛ لنصل علاقة الحاضر بالماضى ، ونعمل على إزالة تلك الفجوة المتوهمة والجفوة المصطنعة بين القديم والحديث .

هـ - صُوَرٌ مشرفة يبتغيها الإسلام للشباب :

١ - مناشدة إبراهيم عليه السلام لأبيه :

يقول الله - تعالى :

﴿ واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صِدِّيقًا نبيًّا * إذ قال لأبيه يا أبتِ لِمَ تعبدُ مالا يسمع ولا يُبصر ولا يغنى عنك شيئًا * يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يَأْتِكَ فاتبعنى أهدِكَ صراطًا سويًّا * يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمٰن عصيًّا * يا أبت إنى أخاف أن يمسَّك عذاب من الرحمٰن فتكون للشيطان وليا * قال أراغبٌ أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تَنْتَهِ لَأَرْجُمنَّك واهجرنى مليًّا * قال سلام عليك سأستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا * وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألّا أكون بدعاء ربى شقيًّا ﴾ [٢] .

هذه صورة رائعة تتجلى فيها تلك المناشدة القوية المهذبة الرائعة ، من ابن ينصح أباه بكل الحب والإخلاص ، على أساس متين من الأدب الرفيع ، وقوة الخُلُق ، والإيمان العميق ، وهى فوق هذا وذاك مثال رائع لنضال صاحب المبدأ

---

(١) انظر أدب البنت ص ٤٧ .

(٢) سورة مريم الآيات من : ٤١ - ٤٨ .

المؤمن به ، فى عفة قول ، وصدق حديث ، وأدب جدال ، إنها قصة خليل الرحمٰن إبراهيم عليه السلام مع أبيه ...

فما أبهاها من صورة ، وما أروعه من أدب ، يقصه علينا القرآن ، لكى يتأسى به الشباب المسلم ، ويحذو حذوه !

٢ – وصية الإنسان باسم إنسانيته :

يقول الله – تعالى :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا حملته أمه كُرْهًا ووضعته كُرْهًا وحمله وفِصَالُه ثلاثون شهرًا حتى إذا بلغ أشُدَّهُ وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت عَلَىَّ وعلى والدَىَّ وأنْ أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وَعْدَ الصِّدْقِ الذى كانوا يوعدون ﴾ (١) .

ففى هذه الصورة القرآنية يوصى الله الإنسان باسم إنسانيته أنْ يُحسن إلى والديه ، وعلى الأخص الأم ؛ لما نالها من التعب والمشقة ، أثناء حمله ، ولسهرها على رعايته حتى فطامه ، فإذا ماوصل الإنسان ريعان شبابه فى سن الأربعين ، أقرَّ لله بالنعمة ، واعترف لوالديه بجميل الصنيع ، فهو يتجه إلى الله فى خشوع طالبًا منه أن يعينه على شكر نعمته ، وأن يعينه على عمل الصالحات ، وأن يصلح له ذريته ، فهذه هى اللَّبِنَات القوية الصالحة التى يقوم عليها المجتمع الصالح ، وبها يكون صلاح أمر الإسلام ، وعليها يقع عبء انتصار كلمة الحق فى كل عصر وجيل .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

(و) صورة يُنَفِّرُ الإسلام منها :

يقول الله – تعالى :

﴿ والذى قال لوالديه أُفٍّ لكما أتَعِدَانِنِى أنْ أُخْرَجَ وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إنَّ وَعْدَ الله حق فيقول ماهذا إلَّا أساطير الأولين * أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ﴾ (١) .

هذه صورة صنف آخر من الشباب على النقيض من الصورة السابقة ، فهى لصنف مغرور ، أكل الزَّهْوُ والعُجْبُ أدْمِغَتَهُم ، يحسبون أنهم على شيء من العلم ، فيتطاولون على الناس ، وَمَاهُمْ فى الحقيقة على شيء . كالشاب الذى يتطاول على والديه لأنهما فى نظره يستمسكان بعقيدة قديمة بالية ، هى عقيدة البعث ليوم الحساب والجزاء ، أما هو فمفكر حديث لا يسعه القبول ولا التسليم بهذه العقيدة ، فضلًا عن الإيمان بها ، فقد خَلَتِ القرون من قبله ، ولم يبعث منهم أحد ، ومع هذا فإنهما يبالغان فى الإلحاح عليه لقبول نصحهما ، ويتوسلان إليه بقبول الإيمان بدافع العطف والشفقة ، فما يكون منه إلا الضَّجَرُ والتأفُّف ، وهما يستغيثان الله ، وَيْلَكَ آمِن ، وينكران عليه جحوده ، ويقولان له : آمِنْ إن وعد الله حق ، فلا يلقيان منه إلا السخرية والاستهزاء : ماهذا إلَّا أساطير الأولين .

فهَذَا الصنف من الشباب – وما أكثرهم – هم الذين تُبْتَلَى بهم المجتمعات ، وتشقى بهم الأمم ؛ لأنهم بهذه الأفكار سيتحللون فلا يُحَرِّمُونَ حرامًا ، ولا يُحِلُّون حلالًا ، فضلًا عن كونهم لا يعرفون حدود الخير والشر ، ولا يميزون الخبيث من الطيب ، ولا الغث من الثمين ، ويصيرون بهذا الخُلْطِ على الأمة جَيْشَ إفْسَادٍ ومنكرات ، وتتحطم بهم وعلى أيديهم المبادئ والقيم .

---

(١) سورة الأحقاف ، الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

(ز) همسات فى آذان المسئولين عن الشباب :

أولًا : الشباب بالنسبة للأمة :

إن الشباب فى كل أمة هم عدتها وعتادها ، فعلى سواعدهم الفتية تقوم الحضارات ؛ لما لهم من قدرة على السعى والعمل ، والبذل والعطاء ، وهم وصية الله ووصية رسوله ، كما أنهم أمانة فى أعناق الذين يَلُونَ أمرهم من قريب أو من بعيد ، هم أمانة فى أيدى الأباء والأمهات ، هم أمانة فى أيدى الأساتذة والمربين ، هم أمانة فى أيدى وسائل إعلام المجتمع (المقروءة والمسموعة والمحكية المرئية) فعن طريقها يتشكل الفكر وتتحرك العواطف ، هم أمانة فى أيدى مصالح المجتمع وهيئاته ومرافقه العامة التى يتعاملون معها ، ويحتكون بها فى ممارساتهم اليومية والحياتية تأثرًا وتأثيرًا .

ثانياً : تضافر الجهود نحو إعداد الشباب :

يجب أن تتضافر جميع الجهود المعنية بإعداد الشباب – والتى ألمحنا إليها – بصورة فعالة ، فلا نرى إلا التنسيق التام بين البيئة الخاصة (الأسرة) والبيئة العامة (المدرسة والمجتمع) ، فما هذه الدوائر إلا حلقات يرتبط بعضها ببعض برباط وثيق ، ويتحدد دور كل منها على النحو التالى :

١ – الأسرة :

ولا شك أن دور الأسرة يقع فى مقام الصدارة من هذه الدوائر المؤثرة والفاعلة ، فعلى الأبوين تقع مسئولية التنشئة الصحيحة ، من تصحيح للعقيدة ، وترسيخ للقيم فى أذهان الأبناء ، ومن متطلبات ذلك بطبيعة الحال صحة عقيدة الأبوين ، وتطبيقهما لشعائر الدين تطبيقاً سليماً ، وتلك نقطة أساسية وجوهرية

يجب التنبه إليها ؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، وبقدر ما يقع على الآباء من عبء غرس الفضائل والصفات الحميدة فى نفوس النشء بقدر ما يتحملون من عملية التقويم والمتابعة ، وتلك عملية أخرى أكثر أهمية ، وفى ذلك يقول الله – تعالى : ﴿ وأْمُر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقًا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾ (١) .

٢ – المدرسة :

وللمدرسة ومعاهد العلم دور بارز فى هذا الصدد ، فتلك هى الدائرة التى تلى الأسرة ، فيجب أن تكون مناخًا صالحًا للتربية والتعليم ، بما فى ذلك من قدوة حسنة ، تتمثل فى الأساتذة والمربين ، وبما فيها من أُخوة صادقة ، وزمالة كريمة بين المتعلمين ، كما يجب أيضًا أن تتوفر فى هذا المجتمع والمؤسسة الاجتماعية الصغيرة نسبيًّا مقومات المجتمع المسلم ، كاحترام الدرس ، واحترام المال العام ممثلاً فى أثاث المدرسة ، والاحترام المتبادل بين الأفراد ، وتعود الصدق فى القول والعمل ، واحترام مواعيد الصلاة ، والتنبيه عليها ، واصطحاب التلاميذ لأدائها فى صورة منظمة ، تتضح لهم من خلالها روعة الإسلام وحسن تعليمه ، حتى إذا ما شبُّوا عن الطوق شبوا وهم لهذه العبادة محبون ، وعلى أدائها يحرصون .

٣ – المجتمع الكبير :

ثم يأتى من بعد ذلك دور المجتمع الكبير بما فيه من مصالح ومرافق ، يتعامل النشء معها بصورة عملية أكثر من تعامله مع دور العلم ومعاهده ، فيجب أن يكون الواقع الفعلى فى تلك المرافق منسجماً مع الواقع النظرى فيها ، فلا نلقن

---

(١) سورة طه : ١٣٢ .

أبناءنا احترام المال العام مثلًا والصدق فى التعامل ، ثمّ إذا خرج إلى المجتمع وجد الكذب والسلب والنهب بطرقه الملتوية ، ودروبه المتشعبة فاشيًا بين الناس . فحينما تتوحد النغمة فى آذان النشء ، بدءًا من البيت ، ومرورًا بالمؤسسات التعليمية ، وانتهاءً بمرافق المجتمع ومؤسساته ، فستكون الثمار بإذن الله طيبة ، ولنا الأسوة والقدوة فى سلفنا الصالح – رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ثالثًا : مَغَبَّةُ التقصير فى التربية :

إذا ما قصرت الجهات المعنية بالتربية فإن المجتمع بأسره سيجنى مُرَّ الثمار ، وأوخم العواقب ، فإذا جعل الآباء شغلهم الشاغل العمل على إشباع بطون الأبناء وتوفير ماديات الحياة للأبناء فحسب ، وتشاغلت المؤسسات التعليمية عن دورها الحقيقى ، فأصبحت فى وادٍ آخر ، ولا هم لها إلا قتل الوقت فى التسلية والتلهية ، وإن أحسنت خلطت العمل الصالح بالسيء فعندئذ لن نجد إلا شبابًا محطمًا ، يعانى من انفصام الشخصية والعقد النفسية ، والانحرافات الفكرية ، فتقع الكَثْرَةُ الكاثرة منهم فريسة ونهبًا للتيارات الإلحادية ، والمعتقدات المادية ، فتراهم يعتنقون اليوم من المذاهب ما يثورون عليه غدًا أو بعد غد ، حيث ضاعت من القدم الطريق ، واستعصى الحكم الصحيح على الأشياء ، ولا أدل على هذا الاضطراب من موجات التقليد بين الشباب ، فترى سباقًا فى تقليد كل من الفتيان والفتيات للآخر ، من نحو إطالة الشعور أو تقصيرها ، ولبس الحلى الذهبية والملابس الحريرية ، بالرغم مما فى ذلك من مخاطر وأضرار على الشخصية السوية ، وفى ذلك يقول الشاعر :

شبابَ النيل يازَيْنَ الشباب ويا أشبالَ آساد غِضَابِ
أرى فيكم فريقاً حين يمشى يهز بأنفه طرف السَّحَابِ

لزهر النرد قد خُلقت يداه　　وليست لليَراع وللكتاب
تفنَّن فى مُحاكاة العذارى　　وخالَفَهن فى وَضْع النِّقاب
وأرسَلَ شعره المصْفُوفَ يحكى　　وميضَ البرق أو لمعِ السَّراب
له حُلل تحاكى الطيفَ لونًا　　بأزرار من الذهب اللباب
إذا الليثُ استَحَال بمصرَ ظبياً　　فمن يحمى البلاد من الذئاب ؟؟

فَلْنَتَّقِ الله فى أبنائنا ؛ لكى نجنى من ورائهم كل خير ، حتى إذا ما سلِّمَ زِمَامُ الأمر إليهم ساروا سيرةَ الآباء ، فيستفيد منهم المجتمع الخير والعزة والهناءة .

وفق الله الجميع للأخذ بهذه الأسباب

والحمد لله أولًا وآخِرًا ، وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين
* * *





قائمة المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - جواهر التفاسير : مصطفى محمد المليجى ، طبعة صبيح ١٩٥٧ م .

٣ - تفسير القرآن العظيم : لابن كثير ، مكتبة التراث الإسلامى .

٤ - تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر - القاهرة .

٥ - صفوة التفاسير للصابونى ، دار القرآن الكريم ١٩٨١ م .

٦ - المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٠ م .

٧ - الأدب المفرد للبخارى ، مكتبة الآداب ، ١٩٧٩ م .

٨ - صحيح مسلم بشرح النووى ، طبعة الشعب .

٩ - الأذكار للنووى ، طبعة دار الملاح للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م .

١٠ - رياض الصالحين للنووى ، دار المأمون للتراث .

١١ - تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، لابن الديبع ، طبعة صبيح ١٩٦٣ م .

١٢ - مواقف من السيرة النبوية ، مصطفى حسين عطار ، دار العلم للملايين ١٩٨٠ م .

١٣ - شرح عقود اللجين فى بيان حقوق الزوجين ، الشيخ محمد بن عمر نورى ، المطبعة المحمودية التجارية - القاهرة .

١٤ - أضواء من السنة ، جماعة دار الحديث النبوى - دار الشعب ١٩٦٩ م .

١٥ - فى ظلال الإسلام ، محمود أمين النواوى وآخرين ، دار العهد الجديد للطباعة ١٩٥٧ م .

١٦ – من وصايا الرسول – ﷺ – طه عبد الله العفيفى ، دار الاعتصام ١٩٧٣ م .

١٧ – إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ، طبعة الشعب .

١٨ – موارد الظمآن لدروس الزمان ، عبد العزيز المحمد السلمان ، السعودية .

١٩ – قصص من السنة ، د. أحمد عمر هاشم ، دار ثابت ١٩٨٤ م .

٢٠ – الإتحافات السنية فى الأحاديث القدسية ، للشيخ محمد المدنى بتحقيق الشيخ محمود أمين النواوى ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨ م .

٢١ – التاج الجامع للأصول فى أحاديث الرسول ، الشيخ منصور على ناصف ، دار الفكر ١٩٨١ م

٢٢ – أخلاق الدعاة إلى الله ، النظرية والتطبيق ، د. طلعت محمد عفيفى ، مكتبة الإيمان ١٩٨٩ م .

٢٣ – نظام الأسرة فى الإسلام ، د. على يوسف السبكى ، دار الطباعة المحمدية ١٩٩٠ م .

٢٤ – الأسرة المسلمة وقضايا العصر ، أحمد عبد الرحيم السايح ، دار الطباعة المحمدية ١٩٨١ م .

٢٥ – موقف الإسلام من تنظيم الأسرة ، وزارة الأوقاف – القاهرة ١٩٨٩ م .

٢٦ – حق الزوج على زوجته وحق الزوجة على زوجها ، طه عبد الله العفيفى ، دار الاعتصام ١٩٨٠ م .

٢٧ – تربية الأولاد فى الإسلام ، عبد الله ناصح علوان ، دار السلام للطباعة ١٩٩١ م .

٢٨ – علاقة الآباء بالأبناء فى الشريعة الإسلامية ، د. سعاد صالح ، تهامة – جدة – السعودية ١٩٨٤ م .

٢٩ – المفيد فى الفقه الإسلامى (الزواج وأحكام الأسرة) ، د. عبد الرحمٰن العدوى ، مكتبة الإيمان ١٩٨٩ م .

٣٠ - مجلة العلوم السكانية المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر - عدد يوليو ١٩٩٠ م .
٣١ - مجلة الأمة ، العدد (٧٠) السنة السادسة ، يونيو ١٩٨٦ م .
٣٢ - قرة العيون بشرح نظم ابن يامون فى النكاح الشرعى ، وآدابه ، التهامى كنون الإدريس الحسنى ، طبعة الحلبى ١٩٨٢ م .
٣٣ - عيون الأخبار ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى جـ ٤ المؤسسة المصرية العامة للتأليف .
٣٤ - الإعجاز العلمى فى الإسلام (القرآن الكريم) ، محمد كامل عبد الصمد ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠ م .
٣٥ - الإعجاز العلمى فى الإسلام (السنة النبوية) ، محمد كامل عبد الصمد ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠ م .
٣٦ - الدين والمجتمع ، عدد خاص من مجلة الرائد ، مارس - أبريل ١٩٦٥ نقابة المهن التعليمية .
٣٧ - التربية الإسلامية للطفل والمراهق ، لواء أركان حرب محمد جمال الدين على محفوظ ، دار الاعتصام ١٩٨٦ م .
٣٨ - أدب البنت ، محمد محمد هلال ، المطبعة الأهليه بميت غمر ١٩١٤ م .
٣٩ - اختيار الزوجين فى الإسلام ، حسين محمد يوسف ، دار الاعتصام ١٩٧٩ م .
٤٠ - الختان ، رأى الدين والعلم فى ختان الأولاد والبنات ، أبو بكر عبد الرازق ، دار الاعتصام ١٩٨٩ م .
٤١ - أدب الطفل العربى ، د. حسن شحاته ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١ م .
٤٢ - المرأة فى ظلال القرآن ، عكاشة عبد المنان الطيبى ، دار الفضيلة .
٤٣ - العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية ، د. أحمد على المجدوب ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩١ م .

٤٤ - حقوق الطفل فى الإسلام ، جودة محمد عواد ، دار الفضيلة ١٩٩١ م .
٤٥ - جريدة أخبار اليوم القاهرية عدد السبت ١٩٨٩/١٠/٢١
والعدد ١١٦٥٥ السنة (٣٨) فى ١٩٨٩/٩/٢٠ .
٤٦ - مجمع الزوائد للهيثمى جـ ٤ .

* * *



محتويات الكتاب

الصفحة

الفصل الثانى
منهج الإسلام فى بناء الأسرة

الصفحة

الفصل الثالث

حقوق كل من الزوجين قِبَلَ الآخر

الصفحة

الفصل الرابع

حقوق كل من الأبناء والآباء قِبَلَ بعضهم البعض

الصفحة

الصفحة

الفصل الخامس
منهج الإسلام فى تربية الشباب

الصفحة

* * *

رقم الايداع

١٩٩٢/٩٥٤٦

I . S . B . N

977-270-047-6

طبع بالمطبعة الفنية ت ٣٩١١٨٦٢

تجهيزات أوفست

جهاد

٢٣ج شارع سنان ـ الزيتون ـ القاهرة .



الأسرة المسلمة

رؤية موضوعية عصرية ، ومحاولة جادة لدعم أواصر حاضر المجتمع الإسلامي بماضيه ، نحو تنشئة أسرية ، أساسها القرآن الكريم والسنة النبوية ، مع خلاصة تجارب السلف الصالح ، التي تضمنتها توجيهاتهم القيمة .

ومؤلفه : الدكتور عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدى ، الأستاذ بكلية الزراعة - جامعة الأزهر ، والحاصل على الإجازة العالية في الدعوة الإسلامية من كلية الدعوة الإسلامية - جامعة الأزهر بتقدير عام ممتاز مع مرتبة الشرف ، وأحد المشتغلين بالدعوة الإسلامية .

فإذا كانت الأسرة المسلمة تتعرض في حاضرها لموجات متلاحقة من المغريات العصرية ، المغلفة بألوان من الفكر الوافد الدخيل ، الذى سرت شروره في أوصالها فَفَتَّ في عَضُدها ، كما نالَ من تماسُكها واستقرارها ، فإن العَوْدَ الحميدَ والسريعَ إلى المبادئ الإسلامية السامية ، والتعلق بأهدابها لكفيل - بفضل الله - أن يقيمنا على جادة الطريق .

والدار المصرية : يسرها أن تقدم هذا الكتاب للناشئة من الفتيان والفتيات ، فضلاً عن تقديمه للآباء والمربّين ، وكل من هم صلة ببرامج التربية ومناهجها من قريب أو من بعيد ، ففى رحابه يجد كل فرد ضالته المنشودة ، ويعرف دورَه الحقيقيَّ ، والذى يدور بين الحق والواجب ، كل ذلك في ثوب قشيب من يسر العبادة مقرونًا بعمق الفكرة .

وبالله التوفيق ،،،

الناشر



الدار المصرية اللبنانية

طباعة • نشر • توزيع

١٦ شارع عبدالخالق ثروت - تليفون ٣٩٢٣٥٢٥ - ٣٩٣٦٧٤٣ - فاكس: ٣٩٠٩٦١٨ - برقيا: دار شادو - ص.ب: ٢٠٢٢ - القاهرة

AL-DAR AL-MASRIAH AL-LUBNANIAH — PRINTING — PUBLISHING — DISTRIBUTION

16 ABD EL KHALEK SARWAT St. P.O.Box 2022-Cairo-Egypt PHONE: 3936743-3923525 FAX: 3909618 CABLE DARSHADO